مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية)

الوفد العثماني في مصر

٧-١٩ أكتوبر ١٨٨١م

د. غادة خميس شعبان موسي

مدرس بقسم العلوم الاجتماعية

كلية التربية – جامعة دمنهور

DOI: 10.21608/qarts.2024.264977.1876

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – المجلد (٣٣) العدد (٦٣) أبريل ٢٠٢٤

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

الوفد العثماني فى مصر

٧-١٩ أكتوبر ١٨٨١ م

الملخص:

تناول البحث ظروف ارسال الدولة العثمانية وفداً رسمياً إلي مصر في اعقاب مظاهرة الجيش المصري في عابدين يوم ٩ سبتمبر ١٨٨١م، فى ظل شكوك وارتيابات سيطرت على الخديو والحكومة المصرية والدوائر الإنجليزية والفرنسية من التدخل العثماني فى مصر، والتى نجحت بدورها فى إقصاء مسألة إرسال قوات عسكرية عثمانية ، وكذا، إرسال وفداً ذا صبغة عسكرية . وانتهى الأمر بإرسال وفد عثمانى مدني وإن كان بخلفيات عسكرية سابقة ومن المقربين للسلطان عبدالحميد الثانى شخصياً.

وقد عرض البحث دوافع السلطان العثماني المعلنة وغير المعلنة لإرسال هذا الوفد، مع تسليط الضوء على مواقف الحاكم المصري والحكومة المصرية والدوائر الأوروبية لاسيما بريطانيا وفرنسا علاوة على الرأي العام في مصر والدولة العثمانية وأوروبا، وذلك من خلال قراءة فى الوثائق البريطانية والصحف والمجلات المعاصرة باللغات العربية والانجليزية والفرنسية.

وقد خلص البحث إلى أن الدوائر المصرية والبريطانية والفرنسية قد فرضت رقابة صارمة على تحركات الوفد العثماني حتى لا يتسنى له الحصول على معلومات من شأنها التأثير على مصالح هذه الأطراف، وكشفت النقاب عن نجاح بريطانيا فى إقصاء التدخل العسكرى العثماني ووضع فرنسا فى المواجهة مع الآستانة والقاهرة حتى تحين لها الفرصة للتدخل العسكرى فى مصر، وهو ما حدث فعلاً عام ١٨٨٢م بعد أقل من عام على مغادرة الوفد العثماني مصر وتأهب بريطانيا لاحتلالها عسكرياً.

الكلمات المفتاحية: مظاهرة عابدين، ٩ سبتمبر ١٨٨١، الوفد العثماني، القوى الأوروبية.

مقدمة

منذ اندلاع مظاهرة عابدين فى ٩ سبتمبر ١٨٨١م، أخذت الأوضاع المصرية والعثمانية والأوروبية فى الارتباك، ونشطت عمليات تقصى الحقائق، وكثرت التوقعات وصياغة سيناريوهات لتداعيات هذا الحدث النوعى الجديد فى مصر. وهنا، تصارعت وتيرة ردود الفعل والمواقف المتعددة والمتباينة بين القاهرة والأستانة والعواصم الأوروبية الكبرى لاسيما لندن وباريس أصحاب المصالح الحيوية والإستراتيجية فى الشرق ومصر بالأخص. وقد فاجأت الدولة العثمانية _ صاحبة السيادة الإسمية على مصر _ الخديوية المصرية والقوى الأوروبية بإرسال وفد لتقصى الحقائق إلى مصر خلال الفترة من ٧ إلى ١٩ أكتوبر ١٨٨١م .

وتركز هذا البحث على ملابسات وأغراض إرسال الوفد العثماني المباشرة وغير المباشرة منذ اندلاع مظاهرة الجيش المصرى فى ٩ سبتمبر ١٨٨١ م وحتى مغادرة الوفد فى ١٩ أكتوبر ١٨٨١م، وذلك من خلال المحاور الآتية : الظروف المحيطة بإرسال الوفد العثماني ، تكوين الوفد العثماني ، تحركات الوفد العثماني ، مواقف وردود أفعال القوى الأوروبية ، الرأى العام والوفد العثماني. ويرتكز البحث على الوثائق البريطانية غير المنشورة لاسيما وثائق وزارة الخارجية البريطانية ، وكذا ، وثائق الثورة العرابية بدار الوثائق القومية بالقاهرة. بالإضافة إلى وثائق منشورة باللغتين العربية والإنجليزية، ومذكرات وذكريات ، وطائفة من الدوريات العربية والإنجليزية والفرنسية .

الظروف المحيطة بإرسال الوفد العثماني:

منذ مطلع عام ١٨٨١م، طرحت فكرة زيادة عدد أفراد الجيش المصرى من ١٠٠٠٠إلى ١٥٠٠٠ جندى على بساط المناقشات والمداولات بين ثالوث القيادات العسكرية والخديو وأعضاء الحزب الوطنى. وقد ابتغت القيادات العسكرية والمدنية تقليل نفوذ الأجانب فى مصر ، وليس تحجيم سلطات الخديو الحاكم . وقد تجلى هذا بوضوح

عندما اندلعت الثورة العرابية فى ٩ سبتمبر ١٨٨١ م ؛ إذ أثبتت حركة الجيش أن غايتها تخليص مصر من المراقبة الأوروبية حتى تكون " مصر للمصريين " . وقد سيطرت قناعة على الجيش والثوار بحتمية الإطاحة بنظارة مصطفى رياض باشا الأولى (٢١ سبتمبر ١٨٧٩ – ١٠ سبتمبر ١٨٨١ م) ، التى وقعت تحت الهيمنة البريطانية ، وساعدت الإنجليز فى التغلغل داخل الجهاز الإداري المصرى حسب توصيف صحيفة الديلى نيوز البريطانية The Daily News [١] .

وجدير بالتسجيل أن دوائر الرأى العام البريطاني ، وعلى رأسها صحيفة التايمز البريطانية The Times، قد أظهرت جدوى البُعد الوطنى فى حركة الجيش المصرى يوم ٩ سبتمبر ١٨٨١ م . وقد أشارت إلى أن نظارة رياض باشا قد تذرعت بحجة " التوفير " لتخفيض أعداد قوات الجيش المصرى فى الوقت نفسه الذى منحت فيه الأوروبيين امتيازات عديدة مما أدى إلى ازدياد قوتهم واتساع هيمنتهم. وأعربت التايمز عن امتعاض المصريين من إنقاص أعداد القوات العسكرية ، واتهمت النظارة المصرية بـ "عدم الحكمة " فى توسيع دوائر الاستعانة بموظفين أوروبيين فى مناصب مفصلية من قبيل قلم المطبوعات (المراقبة) والجمارك والموانئ. وألمحت الصحيفة أيضاً إلى شعور المصريين بالظلم جراء عدم المساواة مع الأوروبيين فى السياسة الضريبية [٢].

ولاريب أن أحداث ٩ سبتمبر ١٨٨١م قد أقلقت السلطات العثمانية لاسيما أن إعادة الحياة النيابية كانت ضمن مطالبها بعد زيادة عدد الجيش إلى ١٨ ألف جندى وإقالة نظارة رياض باشا. ولذا ، فلا غرو أن أصدر الباب العالى أوامره إلى إدارة التلغراف العثمانية بعدم استقبال اي أنباء من مصر . كما أصدرت أوامرها إلى الجرائد العثمانية بعدم إثارة المسألة المصرية ولفت أنظار الرعية إليها [٣].

وقد انتابت السلطات العثمانية خيبة أمل جراء انتهاج نظارة محمد شريف باشا الثالثة (١٤ سبتمبر ١٨٨١– ٤ فبراير ١٨٨٢م) التى حلَت محل نظارة رياض باشا فى انتهاجها إستراتيجية باستمرار المراقبة المالية الثنائية الإنجليزية الفرنسية فى مصر مما يُعرقل إعادة الأستانة فرض سيطرتها على الخديوية المصرية [٤] .

وجدير بالإشارة إلى أن السلطان عبدالحميد الثانى (١٨٧٦– ١٩٠٩م) كان حريصاً على استغلال الأزمة المصرية بعد ٩ سبتمبر ١٨٨١ م لاسترداد سلطاته على مصر لاسيما وأن الخديو محمد توفيق باشا (١٨٧٩–١٨٩٢م) قد ناشده بإرسال قوات عثمانية إلى ثغر الإسكندرية . ففى نفس يوم مظاهرة ٩ سبتمبر ١٨٨١ م ، أرسل توفيق برقية إلى عبد الحميد الثانى ، أخبره باختصار عما حدث فى ساحة ميدان عابدين ، وطالبه بإرسال قوات عثمانية قوامها " عشرين طابوراً" تكون تحت إمرته شخصياً [٥].

ومن المفارقات أن دوائر الرأى العام الإنجليزي خصوصاً صحيفة التايمز التى كانت من أنصار إرسال قوات عثمانية إلى مصر انتقدت تدخل لندن فى الشأن المصرى. وحسب توصيف الصحيفة فى ١٤ أكتوبر ١٨٨١م، يُعد التدخل الإنجليزي فى مصر " فاحشاً ، وسببه قبولنا مهام مجهولة نظير مصالح وهمية قليلة الفائدة .... أقمنا نظارة فى مصر، وجعلنا عليها مراقباً عمومياً ، وأيدنا النظارة السابقة (نظارة رياض باشا الأولى) ضَد رغبات الخديو ورعاياه . وقد تم إسقاطها تحت قوة السلاح ، ولم يكن استسلام الخديو بإقالتها إلا بمكانة تسليم لندن وباريس ". وقد ذهبت التايمز The Times إلى أن غاية حركة الجيش المصرى الحيلولة دون تدخل الأوروبيين فى إدارة الخديوية المصرية . ناهيك أن المصريين يمتعضون من الوجود الأوروبى لاسيما الفلاحين الذين ازدادت أحوالهم سوءاً عما كانت عليه زمن الخديو السابق (إسماعيل ١٨٦٣– ١٨٧٩ م). وأخيراً ، إذا كانت

الإدارة البريطانية ترغب فى "تنمية مصر"، فيجب عليها " تقويتها"، ولن يتأتى ذلك إلا بـــ " حفظ النظام " عن طريق الجيش العثماني [٦] .

وإذا كان الخديو والرأى العام البريطانى من دعاة التدخل العسكرى العثماني لإحباط ثورة الجيش المصرى، فعلى النقيض ثمة تيارات وطنية مصرية ناهضت هذه المسألة من قبيل صحيفة " الوطن" القاهرية واصفة إياها بأنها " لا تأتى إلا بالضرر على المشيرين بها " . وهيمنت عليها قناعات بأن الأستانة تنتوى سلب مصر كل مزاياها الاستقلالية منذ الوالى الكبير محمد علي باشا (١٨٠٥-١٨٤٨ م) [٧].

وقبل أن يرد السلطان عبد الحميد الثانى والباب العالى على الخديو توفيق فى مسألة التدخل العسكرى ، طلب السلطان من الخديو ملابسات وتفاصيل " الفتنة العسكرية " حتى يتسنى له اتخاذ قرار التدخل لإعادة النظام وحل الأزمة حسب المعطيات الداخلية [٨].

ورداً على السلطان العثماني، أوضح خديو مصر أن سبب قيام " الفتنة العسكرية" يكمن فى شيوع أفكار ناقمة ومتذمرة بين شرائح الجيش ، بثتها بينهم مقالات الصحفى المنفى فى باريس يعقوب صنوع عبر صحيفته " أبو نظارة زرقاء " الناطقة بالعربية بدعم من عمه الأمير عبد الحليم باشا الطامع فى العرش، وإرسالها بالآلاف سراً، وتوزيعها بين صفوف الجيش المصرى [٩] .

ورغم وجاهة رأى الخديو توفيق فى تأثير آراء يعقوب صنوع ونظارته الزرقاء المتأثرة جداً بأفكار جمال الدين الأفغانى(١٨٣٨-١٨٩٧م) ومحمد عبده (١٨٤٩-١٩٠٥ م)[١٠] ، فلم يكن الخديو المصرى مقبولاً فى البلاط العثماني ، ولم يكن الباب العالى راضياً عن مزايا الخديوية المصرية . فمنذ أن خلع الإنجليز والفرنسيون الخديو إسماعيل عنوة رغماً عن الباب العالى ونصَبوا ابنه البكر توفيق مكانه فى ٢٦ يونية

١٨٧٩م ، لم يزر الخديو توفيق الأستانة على نحو ما كان يفعل أسلافه . ولذا ، أسرَّها السلطان عبد الحميد الثانى فى نفسه . ومن المفارقات ، ارتفعت أسهم أحمد عرابى ورفاقه نسبياً فى الدوائر العثمانية آنذاك ؛ إذ ثمة قنوات اتصال بين رجال الدين فى الأستانة والعرابيين ، كشفت للباب العالى أن غاية العرابيين ليست الانفصال عن الدولة العلية . وعلى النقيض ، أيدوا البقاء تحت مظلة الخلافة العثمانية (الإسلامية) [١١] .

وفى محاولة لرأب الصدع بين السلطان والخديو ، أسرع الأخير بتعيين محمد ثابت باشا وكيلاً عنه (قبوكتخدا) فى الأستانة (١٨٨١ – ١٨٨٢ م) عساه ينجح فى تقريب المسافات مع دوائر الباب العالى [١٢] . ورغم هذا ، ماطل السلطان فى نجدة الخديو، وتمهَل كسباً للوقت انتظاراً لبيان الاتجاه الأرجح والانحياز إليه بغية استرداد مكانه ومكانته فى مصر . وخشية المواجهة مع القوى الأوروبية لاسيما بريطانيا ، حرصت الإدارة العثمانية على استكشاف مدى تمسك هذه القوى بخديو مصر . ورغم هذا ، أوحى السلطان عبد الحميد الثانى إلى دفرن Dufferin – سفير لندن فى الأستانة – فى ١٦ سبتمبر ١٨٨١ م باحتمالية اتخاذ إجراء تجاه ما حدث فى مصر يوم ٩ سبتمبر ١٨٨١م، بإرسال قوات حربية وإجراءات أخرى [١٣].

وقد توجَست لندن خيفة من احتمالية إرسال الأستانة قوات حربية إلى مصر أو اتخاذ إجراءات سياسية للتدخل المباشر فى أمورها الداخلية . ولذا، سعت عبر سفارتها بالأستانة لإثناء الباب العالى عن التدخل عسكرياً أو سياسياً لاسيما وأن " الوضع فى مصر صار مطمئناً" . وطمأنت السفارة البريطانية السلطات العثمانية بأن التاج البريطانى لا يبغى سوى إعادة الأمور إلى نصابها فى مصر وعلى رأسها تأمين حرية الملاحة فى قناة السويس فى ظل وجود حكومة مناسبة للمصريين مع الاحتفاظ بـ" حقوق وسيادة الباب العالى" فى الخديوية المصرية[١٤].

وما برحت بريطانيا تُقنع الدولة العثمانية بأنه من " الخطأ الجسيم " الاعتقاد بأن ثمة أطماع لها فى مصر، أو تُضمر نوايا عدوانية تجاه مصالحها الحيوية ، أو افتئاتها على " حقوقها المعترف بها " فى بر مصر . وفى حال اللجوء إلى الخيار العسكرى، فلابد من التنسيق البريطانى العثماني بحكم التفاهم والوفاق بين لندن والأستانة(١٥).

وفى خط متواز مع الإستراتيجية البريطانية ، اتفقت باريس مع لندن فى الحيلولة دون تدخل الأستانة عسكرياً أو حتى سياسياً فى" الأزمة المصرية ". ورأت الدوائر الفرنسية أن التدخل العثماني شر مستطير ربما يُؤدى إلى " احتلال عسكرى " ، وتحريض الأهالى فى شمال أفريقيا ضد المصالح الفرنسية . وصدرت تعليمات وزارة الخارجية الفرنسية إلى تسو Tissot – سفير فرنسا بالأستانة – و سنكفكس Sienkiewicz– قنصل عام فرنسا فى القاهرة – بعدم مؤازرة التدخل العثماني فى الأزمة المصرية (١٦).

وقد حرَّضت الحكومة الفرنسية الصحافة الموالية لها على تأليب الرأى العام الفرنسى وجماعات المصالح التى تدور فى فلكه على مناهضة فكرة تدخل الأستانة عسكرياً أو سياسياً بعد أن ناوأت الوجود الفرنسى فى الشمال الأفريقى. وثمة تقارير صحفية مفادها أن إنزال قوات عسكرية إلى طرابلس الغرب بغرض مراقبة الأوضاع فى مصر. ورأت الصحف الفرنسية فى الخديو توفيق بمثابة رمزاً لهيمنة فرنسا وبريطانيا على مصر(١٧).

وسعت فرنسا لاستغلال أزمة ٩ سبتمبر ١٨٨١ م لتوسيع دوائر نفوذها فى مصر . ولذا، عرضت على بريطانيا مُقترحاً بإقامة مراقبة فرنسية إنجليزية عسكرية على مصر أسوة بالمراقبة الثنائية المالية . بيد أن لندن رفضت المقترح الفرنسى انتظاراً لفرصة العمل المنفرد فى مصر. واكتفت بالاتفاق الإنجليزى الفرنسى على عدم التدخل العثماني

العسكرى فى مصر ، وكذا ، عدم إرسال مبعوث عثمانى عسكرى للاشتراك فى استتباب الأمن فى القطر المصرى [١٨].

وتوالت النقاشات والمداولات بشأن إرسال قوات عثمانية حربية أو مبعوث عسكرى عثمانى إلى مصر بين السفيرين دفرن البريطانى وتسو الفرنسى بالأستانة وبين السلطان عبد الحميد الثانى والصدر الأعظم سعيد باشا ووزير الخارجية عاصم باشا . ورغم تعليق السلطان مسألتىّ القوات العسكرية والمبعوث العسكرى مؤقتاً، فإنه قد أعرب للسفيرين عن تمسك الباب العالى بالمصالح الحيوية والكبرى لدولته فى مصر والحجاز، وحقه فى إيفاد" مبعوث" إلى الخديو لتهنئته وتقديم النصائح إليه . وأردف السلطان قائلاً:" لن يكون هذا المبعوث ذا صفة رسمية" [١٩].

ومن المفارقات ، انتهجت فرنسا سياسة متشدِّدة إزاء إيفاد الدولة العثمانية " أى مبعوث أو بعثة " إلى مصر أياً كان طبيعتها . وأبلغت تسو سفيرها فى الأستانة لاتخاذ كل الجهود للحيلولة دون قيام السلطان بمثل هذا الإجراء . وإذا كانت بريطانيا وفرنسا قد اتفقتا على عدم إرسال قوات عسكرية أو بعثة عسكرية للتدخل فى أزمة ٩ سبتمبر ١٨٨١م، فقد وافقت بريطانيا على تأكيد الدولة العثمانية على " نفوذها فى مصر بإرسال مبعوث رفيع المستوى " . ولاريب أن فرنسا كانت تخشى من التأثير العثماني على نفوذها فى شمال أفريقيا لاسيما بعد احتلالها تونس منذ مايو ١٨٨١ م [٢٠].

وعند هذا الحد ، ناهضت بريطانيا وفرنسا " احتمالية " إرسال قوات عثمانية عسكرية إلى مصر خشية ازدياد نفوذ الدولة العثمانية فيها مما يتعارض مع طموحيهما للانفراد بأمور مصر . وقد أرجأ الباب العالى مسألة إرسال قوات عسكرية قبولاً للنصائح البريطانية – الفرنسية . كما أن دفرن – السفير البريطانى فى الأستانة – قد ألمح إلى

سعيد باشا الصدر الأعظم بأن نزول قوات عسكرية عثمانية إلى مصر سوف" يُزيد " من الاضطرابات والقلاقل بها. وعندئذ ، قد تتدخل بريطانيا وفرنسا عسكرياً متحدتين أو منفردتين (٢١).

ورغم أن مداولات الأزمة المصرية كانت تتم بسرية فى كواليس الباب العالى والسفارتين البريطانية والفرنسية فى الأستانة ، فقد نجح مراسل صحيفة " التايمز" اللندنية فى الأستانة عبر مصادره الخاصة فى البلاط العثماني عن " نية السلطان عبد الحميد الثانى إيفاد أحد خاصته إلى مصر بديلاً عن إرسال قوات حربية أو بعثة عسكرية" (٢٢) . وحسب تحليلات الصحيفة آنفة الذكر ، ربما أرادت الإدارة العثمانية انتهاز سوء العلاقات بين محمد شريف باشا رئيس النظار المصرى المَيال إلى الحزب الوطنى وفرنسا وبين جرانفيل وزير خارجية بريطانيا المتطلع إلى وضع مصر فى دائرة المصالح البريطانية . كما أن الحزب الوطنى معاد لتغلغل الأوروبيين فى مصر ، مما يُساعد الباب العالى على استعادة سلطاته فيها (٢٣) .

وإذا كان محور بريطانيا – فرنسا قاوم التدخل العسكرى – السياسى العثماني المباشر فى الأزمة المصرية، فثمة محور ألمانيا – النمسا – روسيا الذى انتهج نهجاً مغايراً . فمنذ قيام ألمانيا بدور محورى فى تسوية الحرب العثمانية الروسية (١٨٧٧-١٨٧٨م) فى مؤتمر برلين ١٨٧٨م ، اعتقدت برلين أن لندن وباريس يجب عليهما مشاورتها فى توطيد نفوذ أى منهما فى مصر . وفى التوقيت نفسه ، تنامت العلاقات العثمانية الألمانية مما يُوحى بأن الأستانة قد استشارت برلين فيما ينبغى اتخاذه صوب المسألة المصرية (٢٤) . وحسب وثائق الخارجية البريطانية، كان الباب العالى على " تواصل مستمر " مع الهيئات الدبلوماسية النمسوية والروسية فى العاصمة العثمانية للتشاور

فيما ينبغى اتخاذه صوب أزمة الخديوية المصرية . وعلى الأرجح ، دعم الثالوث الألمانى الروسى النمسوى اتخاذ الباب العالى "إجراءات لتأكيد سلطاته وهيمنته فى مصر " [٢٥].

تكوين الوفد العثماني

وأخيراً ، قرَّر السلطان عبدالحميد الثانى إرسال وفداً غير حربي لاستقصاء الحقائق بشأن ما جرى فى الخديوية المصرية يوم ٩ سبتمبر ١٨٨١م . وجدير بالذكر أن السلطان قد امتعض بشدة جراء سلوك تسو –السفير الفرنسى بالأستانة – الذى اتسم بالعنف وعدم الالتزام بالأعراف ومراسم البروتوكول أثناء إبلاغ "نصائح" باريس إليه . وتشبث السلطان بـ " حقوقه" المشروعة فى مصر. وعندئذ ، شرعت لندن وباريس للتنسيق معاً فى إجراءات مراقبة ومتابعة ومواجهة الوفد العثماني [٢٦] .

وجدير بالتسجيل هنا، بينما كان الباب العالى على وشك إرسال وفد تقصى الحقائق عن الأزمة المصرية، سرت شائعات فى الفضاء العثماني والمصرى وحتى الأوروبى بأن بريطانيا وفرنسا ستحتلان مصر عاجلاً أو آجلاً. ولذا ، حرصت الدوائر البريطانية والفرنسية على نفى هذه الشائعات ، والتأكيد على " التعاون المخلص والتام " فيما بين باريس ولندن [٢٧].

وفى أول أكتوبر ١٨٨١م ، قَرَّر الباب العالى نهائياً إرسال وفداً عثمانياً إلى الخديوية المصرية تكوَّن من ست شخصيات من أبرز رجالات البلاط العثماني والمشهود لهم بالولاء التام للسلطان ، وعلي رأسهم على نظامى باشا سرياور السلطان (معتمد أول) وعلي فؤاد بك من أعضاء مجلس شورى الدولة ونجل الصدر الأعظم السابق عالي باشا وسكرتير خاص السلطان (معتمد ثان) وأحمد راتب السكرتير الثانى للسلطان وياوره ، وكذا قدرى بك وصفر أفندى وسيف الله أفندى من ياورانات عبد الحميد الثاني [٢٨] .

وفى ٢ أكتوبر ١٨٨١ م،غادر الوفد العثماني الأستانة متجهاً إلى مصر. ومن المفارقات، لم تكن حكومة القاهرة على علم بهذا الوفد ، ولم تحدث مداولات مع حكومة الباب العالي بشأن الوفد العثماني ومقاصده. وحسب توصيف عبد الرحمن الرافعي : " ... فوجئت البلاد بتلغراف من الأستانة يُنبئ بقيام هذا الوفد ، فقوبل النبأ بالدهشة، لأن حالة البلاد لم تكن تسيغ إيفاده فضلاً عما يحدثه مجيئه من هياج الخواطر وإثارة الهواجس فى وقت كانت البلاد محتاجة فيه إلى إقرار الطمأنينة فى النفوس " (٢٩).

وفى صباح الخميس ٦ أكتوبر ١٨٨١ م ، وصل الوفد العثماني إلى الإسكندرية، وفى المساء وصل إلى القاهرة ، وأقام فى قصر النزهة . وجدير بالإشارة أن كل عضو من أعضاء الوفد كان له " شفرة تلغرافية " مختلفة عن الأعضاء الآخرين ، وله حق الاتصال المباشر مع الباب العالي . وقد أُنيطت مهمة التحقيق فى ملابسات " التمرد العسكرى " (الثورة العرابية) إلى علي نظامى باشا رئيس الوفد . واتسمت مهمة علي فؤاد بك بكونها " مأمورية سياسية " مفادها الاشتراك فى المداولات التى تجرى بين مصر والدول الأوروبية الكبرى علاوة على استقصاء دوافع الخديو توفيق باشا لعدم زيارة الأستانة حسب تقاليد وأعراف علاقة الحاكم المصرى مع السلطان العثماني . وقد عيَن الخديو أحمد رفعت مرافقاً للوفد ، ونبه عليه عدم الخوض معهم فى أي تفاصيل تخص أزمة ٩ سبتمبر ١٨٨١م (٣٠).

ولاريب أن الآراء والرؤى قد تعدَّدت وتنوَّعت وتباينت بشأن مهام الوفد العثماني وأهدافه . رسم كرومر فى كتابه عن الثورة العرابية شبكة وملابسات دوافع السلطان عبد الحميد الثانى لإرسال الوفد العثماني إلى مصر . ففى الابتداء ، قطع بأن " اضطرابات مصر " قد رفعت سقف طموحات السلطان لإعادة توطيد نفوذه على مصر . ولاغرو فى هذا ؛ إذ انتاب السلطان قلقاً شديداً جراء تأكل دولته إثر الحرب الروسية العثمانية ١٨٧٧

– ١٨٧٨ م واحتلال فرنسا لتونس ١٨٨١ م . وقد انزعج السلطان من رسالة بعث بها عرابى إلى الأستانة ونصها : " إن مصر وقعت فريسة فى قبضة الأجانب ، فما لم يتدخل السلطان بنفوذه ، ستلقى مصير تونس عن قريب " (٣١).

ولذا ، فلا عجب أن شجَع السلطان العثماني عرابى "بعض الشيء" . بيد أن السلطان عبد الحميد الثانى ما انفك انزعج حيال المطالب العرابية لاسيما الدستور والحياة النيابية التى عارضها بشدة وعلَق العمل بالدستور العثماني عشية اندلاع الحرب الروسية العثمانية ١٨٧٧–١٨٧٨م . وثمة شائعات انتشرت عن " قيام حركة سرية ترمى إلى إنشاء دولة عربية من مصر وسورية " مما زاد من قلق السلطات العثمانية ؛ إذ أن تأسيس دولة عربية دستورية من شأنه القضاء على الدولة العثمانية . ولذا ، حسب تحليل كرومر ، كان أول ما خطر على بال السلطان هو " احتلال مصر عسكرياً" (٣٢).

وقد اتفق رأي عبد الرحمن الرافعى مع رأي كرومر فى خشية الباب العالي من تنامى الحياة الدستورية فى الخديوية المصرية ، وحسب نص الرافعى :"...أو لعلها نظرت بعين الاستياء إلى قيام وزارة حرة تُقيم النظام الدستورى فى مصر ، لأن مثل هذا النظام لم يكن لترضى عنه حكومة الأستانة التى جُبلت على كراهية الحرية والدستور ..." (٣٣).

ومن المفارقات ، لم يذكر عبد العزيز الشناوى المدافع عن الدولة العثمانية باعتبارها " دولة إسلامية مفترى عليها " شيئاً عن خشية السلطان من تكريس الدستور والحياة النيابية فى الخديوية المصرية . بيد أنه لم ينكر رغبة السلطان العارمة فى " انتهاز فرصة...أنباء المظاهرة العسكرية " يوم ٩ سبتمبر ١٨٨١ م فى ساحة عابدين بالقاهرة لـ " تأكيد سلطته ونفوذه فى مصر " رغم انتهاء التجمعات العسكرية دون إراقة دماء . ولذا، قرَّر ارسال وفداً عثمانياً برئاسة على نظامى باشا بحجة " تقصى الحقائق عن التمرد

العسكرى " رغم استقرار العلاقة بين الثالوث : الخديو والنظارة والعرابيين . وأكد الشناوى أن السلطان ابتغى " إحراج الخديو وإثارة المشكلات والعقبات فى وجهه ، ومن ثم كانت فكرة إرسال الوفد العثماني إلى مصر تستهدف الكيد والانتقام من توفيق " (٣٤).

وهكذا ، ثمة اتفاق على أن مهام الوفد العثماني المعلنة " تقصى الحقائق وجمع المعلومات عن الحركة العسكرية التى وقعت يوم ٩ سبتمبر ١٨٨١م ". وثمة تباين جد صارخ حول أهداف الوفد العثماني . بينما رجح فريق أول برغبة السلطان فى اتخاذ هذه المظاهرة " العسكرية " ذريعة لعزل الخديو توفيق وتنصيب والى عثمانى أو عمه الأمير حليم باشا ، مال فريق ثانٍ إلى رغبة السلطان فى دعم الخديو وتثبيت مركزه ومنع تكرار التظاهر العسكرى والحيلولة دون تمدد النفوذ الأوروبى فى مصر (٣٥).

ورغم أن بريطانيا كانت المستفيد الأول من تداعيات مظاهرات ٩ سبتمبر ١٨٨١م على المدى القريب والبعيد ، فلم تشأ المواجهة المباشرة مع الدولة العثمانية وزجت بفرنسا لمواجهة الباب العالي فى مناهضة إرسال قوات عسكرية أو بعثة عسكرية إلى الخديوية المصرية . وفعلاً ، نجحت الضغوط الفرنسية المباشرة والإنجليزية غير المباشرة فى إفشال إرسال وفد عسكرى عثمانى قد يتدرج إلى احتلال مباشر. كما نجحت لندن وباريس فى الحيلولة دون عزل الخديو (٣٦).

ومهما تضاربت الآراء والرؤى بخصوص مهام وأغراض الوفد العثماني ، فلاريب أن غاية الوفد استجلاء واستقصاء الوقائع والحقائق فى ملابسات وتداعيات مظاهرات ٩ سبتمبر ١٨٨١ م ، وكيفية توظيفها فى مصلحة ازدياد نفوذ الباب العالي على حساب الخديو والنظارة المصرية ونفوذ بريطانيا وفرنسا . ولعل هذا يدعونا إلى رصد تحركات ولقاءات ونشاطات الوفد العثماني فى القطر المصرى .

تحركات الوفد العثماني

تابعت صحيفة " الوطن " القاهرية [٣٧] خط سير وتحركات ولقاءات الوفد العثماني بالقاهرة بدءاً من يوم الجمعة ٧ أكتوبر وحتى يوم الإثنين ١٩ أكتوبر ١٨٨١م . وطبيعياً ، جاءت أولى زيارات الوفد إلى الخديو توفيق فى قصر الإسماعيلية . وبعد ترحاب الخديو ، نقل على نظامى باشا " تحيات " السلطان للخديو ، ورضاه عن الجهود التى بذلها لاستتباب الأمن فى مصر وإعادة الأمور إلى نصابها . وأردف نظامى قائلاً :" إن المقصود من إرسال هذه الرسالة " إظهار مكانة الخديو عند السلطان الذى يبتغى مد جسور الثقة فيما بينهما". وبعد اللقاء ، عاد الوفد إلى قصر النزهة [٣٨] .

وفى يوم السبت ٨ أكتوبر ١٨٨١م ، توَّجه جميع نظار الحكومة المصرية إلى قصر النزهة للقاء الوفد العثماني ، والنظار هم : مصطفى باشا فهمي (الخارجية) ، حيدر باشا (المالية) ، إسماعيل باشا أيوب (الأشغال العمومية) ، محمود باشا سامى البارودى (الجهادية والبحرية) ، قدرى بك (الحقانية) ، محمد زكي باشا (المعارف والأوقاف)[٣٩]. وحسب تقرير صحيفة الوطن ، أجمع النظار المصريون كافة أمام علي نظامي باشا بأن " العساكر ملازمون الطاعة ، وأن المصريين مشهورون بالسلم " [٤٠] .

وعلى امتداد يومىَّ الأحد والإثنين ٩ و ١٠ أكتوبر ١٨٨١م ، دعا الخديو توفيق الوفد العثماني إلى مأدبة غداء فى قصر الجزيرة ، وفى اليوم التالى رد لهم الخديو الزيارة فى قصر النزهة [٤١] .

وإذا كانت لقاءات الوفد العثماني السابقة تتسم بالدبلوماسية والموارية ، فقد كانت لقاءات وفعاليات يوم الثلاثاء ١١ أكتوبر ١٨٨١ م الأبرز والأكثر مباشرة . وجدير بالتسجيل أن عبدالله النديم (١٨٤٥ – ١٨٩٦ م)– خطيب الثورة العرابية – قد نشر

تفاصيل هذا اللقاء فى مجلة " التنكيت والتبكيت " ، فى العدد الثامن عشر ، الصادر يوم الأحد ١٦ أكتوبر ١٨٨١ م قبل إيقافها فى ٢٣ أكتوبر ١٨٨١ م (٤٢).

ومن المفارقات ، بينما كان الوفد العثماني يتقابل مع الخديو والنظار خلال يومىّ ٨ و ١٠ أكتوبر ١٨٨١م ، أصدر عبدالله النديم العدد رقم ١٧ من مجلة " التنكيت والتبكيت " ، واختص جُلها بانتقاد الاستبداد والاستعباد ، وامتداح الشورى باعتبارها " غرس الأفكار فى أرض التبادل وسقيها بماء الحرية ... لتُنبت العدل وتُزهر الحق وتُثمر العمران". وعلى امتداد صفحات المجلة ، امتدح النديم حركة الجيش وارتباطها بالشعب المصرى . وأفرط الرجل فى الحديث عن " المحاسن التوفيقية " أو " تاريخ مصر الفتاة " أو " زفاف الحرية فى مصر " . واختتم العدد بصفحات بعنوان " نبذة من تاريخ الهمام أحمد بك عرابى حفظه الله ". ويُمثل هذا العدد من المجلة " وثيقة " جد مهمة تعكس بامتياز آراء ورؤى التيار الوطنى والعسكرى الذى قاد حركة ٩ سبتمبر ١٨٨١م .وقد أنهى النديم تقريره الجامع المانع بقوله : "....وقد كانت هذه الواقعة سبباً عظيماً فى جمع قلوب العساكر والضباط الفخام ... فخلص الوطن مع إخوانه من الاستبداد وأطلقوا حرية الأهالى وفتحوا مجلس النواب وأسقطوا النظارة وقرَّروا قانون الجهادية الجديد ...." (٤٣).

وتحت عنوان " سيف النصر فى صدر عدو مصر " ، كتب النديم تقريراً شافياً وافياً عن تحركات الوفد العثماني داخل دوائر الجيش المصرى طوال يوم الثلاثاء ١١ أكتوبر ١٨٨١م . وفى هذا اليوم ، اصطحب على نظامى باشا سيف الله أفندى إلى مقر نظارة الجهادية والحربية بقصر النيل ، فاستقبلهما ناظر الجهادية والحربية محمود سامى البارودى، واصطحبهما لتفقد ثكنات الجيش فى القلعة . بعد ذلك ، زاروا الآلاى الثانى بقصر النيل حيث تم استدعاء الأميرالاى طلبة بك عصمت – قائد الآلاى الثانى وجميع الضباط من رتبة قائمقام وبكباشى إلى ديوان النظارة (٤٤).

ألقى على نظامى باشا خطبة وسط جموع العسكريين باللغة التركية ، وقام البارودى بترجمتها إلى اللغة العربية . وقبل إلقاء الخطبة ، تفقد نظامى باشا " الجند رجلاً برجل ، وسُر بحسن نظافتهم وانتظام هيأتهم ومعرفتهم الآداب العسكرية " . وأخبر الجموع العسكرية أنه ابن المدرسة العسكرية ، ترقى فيها حتى صار" قائد جيش عظيم " ، ولذا ، قام السلطان عبد الحميد الثانى بترقيته إلى وظيفة " سرياوريته بمعنى أنى نائب عن مقامه السامى فى تنفيذ أحكامه العالية " . وأردف نظامى باشا قائلاً : " فإنكم تعلمون أن الجند حامية الملك وعون الخليفة على تنفيذ أوامره " (٤٥) .

عرج نظامى باشا بعد ذلك إلى تأكيد تبعية الخديوية المصرية للدولة العلية. وحسب عبارة الرجل : " وبصفة كونى سر ياوراً شاهانياً ، أُخبر حضراتكم بأن مصر قلب الدولة العلية (حفظها الله) ، وهى بين أعين مولانا وسلطاننا المعظم أعزه الله نخشى عليها ما نخشاه على أنفسنا وديارنا ، فإنها من الأراضى السلطانية ، والجناب الخديو السامى هو نائب الحضرة السلطانية الشاهانية ، فالناظر إليه ناظر إلى مولانا السلطان ، والخاضع إليه خاضع لخليفة الله فى أرضه..." (٤٦).

وتعليقاً على الباشا العثماني ، أقر طلبة بك عصمت بأن " الجيش المصرى الشاهانى يعترف لمولانا وإمامنا سلطان الملة الإسلامية بالسلطة ..." . وأكد البك المصرى اعتراف جميع أبناء الجيش المصرى بـ " حفظ ناموس مولانا الخديو وامتيازاته السلطانية ، ونخضع لجلالته خضوع الأبناء لآبائهم ، ونقر بسيادته علينا ونيابته عن المقام الشاهانى السامى ..." . وأكد مراراً وتكراراً على أن الجيش يُحافظ على حياة الخديو ويفديه بـ " أرواحنا ، ونصرف العمر فى خدمته ، وكذلك أهلونا يعترفون بما نعترف به ، وليس بيننا وبين مقامه السامى ما يُوجب اضطراباً ويُحدث قلقاً أو يُحرك فكراً فى السياسة " (٤٧).

وقد التقط الباشا العثماني الكلمة من البك المصرى قائلاً : " هكذا تكون أمراء الجيوش ، وأنى سُررت ... بما علمته من حسن نياتكم وطهارة بواطنكم ، وحبكم للجناب الخديو السامى . وقد تأكد عندى أن تظاهركم العسكرى لم يكن لا لإضرار ولا إفساد ". وبسرعة لافتة ، رد طلبة بك على نظامى باشا : " إن تظاهرنا كان لحفظ البلاد ، ووقاية شرف أميرنا ومولانا الخديو ، ومنع النوازل التى رأيناها حاطت بأوطاننا". وقد استفاض البك المصرى فى استعراض معركة قيادات الجيش مع رياض باشا رئيس النظار السابق الذى كان مصراً على تقليل أعداد قوات الجيش بحجة " الاقتصاد" مما سيكون له آثار سلبية وضارة على " الوطن وصالح الدولة العلية ويمس شرف مولانا الخديو". وأمام هذه التحديات والمخاطر، وحسب طلبة بك عصمت ، " فاضطررنا الخوف على بلادنا وأميرنا للقيام بالجند ، ووقوفنا فى ساحة عابدين العامرة ، وقدمنا طلبنا للجناب الخديو بواسطة أخينا الأكبر ونائبنا جميعاً أحمد بك عرابى ..." (٤٨).

وأردف طلبة بك عصمت خاتماً حديثه بالقول : " ... ونحن الآن راضون عن الهيئة الحاضرة ، مُعترفون بسيادة مولانا السلطان المعظم ، خاضعون لأميرنا الخديو . ولم يبقِ عندنا شئ سوى خدمة الوطن بحياتنا ... نحن نرى الدولة محل سطوتنا ومركز آمالنا ، ودار الخلافة الإسلامية . وإننا نرجو أن تجمع كلمة المسلمين ... لتكون يداً واحدة فى وقاية دولتنا من سائر النوازل ..." . وناشد البك المصرى جميع المسلمين ببث الاتحاد وجمع الكلمة " لحفظ كلمة الدين ووقاية البلاد من أعدائها " (٤٩).

وجدير بالإشارة أن النديم قد نشر تفاصيل هذا اللقاء رداً على انتشار " الأراجيف واختلاق الأكاذيب". ليس هذا فحسب ، بل ليعلم المصريون خصوصاً والأجانب عموماً أن " مسألتنا داخلية ، فإننا أتباع مولانا السلطان ، وهو خليفتنا ". ولم يُرسل السلطان عبد الحميد الثانى هذا الوفد لـ " يخدش راحتنا أو يُحدث فينا اضطراباً، وإنما أراد أن يقف على

اعتقادنا فى خديونا... وقد رآه ساكناً فى الفؤاد منظوراً بعين الرعاية والامتثال". وحسب النديم ، رأى الوفد العثماني غيرة الجيش على البلاد والحقوق السلطانية (٥٠).

وفى اليوم التالى مباشرة ، الأربعاء ١٢ أكتوبر ١٨٨١م ، أبرق على نظام باشا رسالة إلى الباب العالي أكد فيها ولاء قادة الجيش المصرى للسلطان العثماني . ولاغرو ؛ إذ كان السلطان متوجساً خيفة أن تكون غاية الثورة العسكرية فصل الخديوية المصرية عن الدولة العثمانية . ولذا ، أسرع نظامى باشا إلى طمأنته قائلاً : " كنا قد وعدنا بأننا حسب التعليمات سنقوم بالاتصال بأمراء الجيش وقواده ، وعلماء البلد ، لإبلاغهم الوصايا والتنبيهات اللازمة مع توزيع الهدايا السنية عليهم ، فنقول أننا ذهبنا البارحة (الثلاثاء) إلى ثكنة قصر النيل مقر نظارة الجهادية ، وأفهمناهم الطاعة . وعندئذ ، قام بينهم الأميرالاى طلبة بك وأقسم بالله بأنهم لا يضمرون لجلالة السلطان غير الإخلاص والولاء"(٥١).

وفى نفس اليوم ، الثلاثاء ١١ أكتوبر ١٨٨١ م ، زار الوفد العثماني نظارات المالية والمعارف والأشغال العمومية . وفى يوم الأربعاء ١٢ أكتوبر ، زار كلفن المراقب المالى الإنجليزى وليرون عضو لجنة التصفية أعضاء الوفد العثماني . وفى يوم الخميس ١٣ أكتوبر ، زار على نظامى باشا الشيخ محمد العباسى شيخ الجامع الأزهر الذى أخبره برضا الأمة على نظارة محمد شريف باشا ، واعترافها بالحقوق الخديوية وامتيازاتها والسيادة العثمانية الشاهانية . كما زار رئيس الوفد العثماني نقيب الأشراف السيد الشريف الصديقى البكرى الذى أكد له مجدَّداً ما ذكره " شيخ الإسلام " . ونفس الشيء تكرَّر مع الشيخ عليش شيخ المالكية . وكما بدأت أولى الزيارات مع الخديو ، فقد كان آخرها زيارة الخديو يوم الإثنين ١٧ أكتوبر ١٨٨١م بقصر الإسماعيلية . وفى هذا اللقاء ، سلَم الوفد نيشان

الامتياز للخديو توفيق والنيشان العثماني لرئيس النظار محمد شريف باشا والنيشان المجيدى من الدرجة الأولى لمحمود سامى البارودى ناظر الجهادية والبحرية [٥٢].

وكذا أكد علماء الدين والجيش والنظارة للوفد العثماني أن " القلوب مؤتلفة ، والراحة مخيمة فى بلادنا ، والنفوس مبتهجة بدولة مولانا وخليفتنا السلطان الأعظم ، والأرواح حريصة على سيدنا وأميرنا الخديو المعظم ، وأن الأمور آخذة فى التقدم ، والأمة متوجهة لجمع الكلمة الإسلامية وائتلاف النفوس الشرقية ، وهذا لاشك مما يرضى مولانا السلطان ويدفع يد العدوان " [٥٣].

تلك ، هى تحركات ونشاطات الوفد العثماني المعلنة والمنشورة على صفحات المجلات والصحف المصرية داخل أروقة البلاط الحاكم ودواوين النظارات المصرية والأزهر وغيرها . وقد اتسمت معظم المقابلات بالطابع الرسمى ، وتصوير الأمور على ما يُرام على نحو ما سبق بيانه . ويُلاحظ أن الأخبار المنشورة قد ركزت بالأساس على تحركات ونشاطات على نظامى باشا وبعض الأعضاء فقط لاسيما سيف الله . بينما غابت تماماً – أو تكاد – أخبار معلنة عن المعتمد الثانى فؤاد بك وأحمد راتب السكرتير الثانى للسلطان عبد الحميد وعضوىّ الوفد قدرى بك وصفر بك ، وهو ما يدعو إلى التساؤل : هل أجرى بعض أعضاء الوفد العثماني لقاءات خاصة أبلغوا فيها رسائل سرية من السلطان مباشرةً؟

لقد قضى الوفد العثماني فى مصر ثلاثة عشر يوماً (٧ أكتوبر- ١٩ أكتوبر ١٨٨١م) . ولاريب أن جميع تحركاتهم كانت مراقبةً بشدة من عيون الخديو والنظارة المصرية والقناصل العموميين لاسيما قنصلىَّ بريطانيا وفرنسا. وعلى الأرجح ، نجح بعض

أعضاء الوفد وبالأخص فؤاد بك وأحمد راتب فى القيام بمهام خاصة وإبلاغ رسائل سرية لكل من الخديو والتيار الوطنى بجناحيه المدنى والعسكرى .

كشف أحمد عبد الرحيم مصطفى بعضاً من " الرسائل الخاصة " التى أبلغها الوفد العثماني للخديو المصرى ؛ إذ نصح الخديو برفض الدستور والحياة النيابية التى طالب بها الجيش والحزب الوطنى يوم ٩ سبتمبر ١٨٨١ . وحسب تبرير الوفد ؛ إذ لا يُعقل تطبيق دستور فى مصر وحرمان بقية ولايات الدولة العلية منه . وليس هذا فحسب، بل نصحه الوفد بطلب المدد العسكرى من الباب العالي فى حال تجدُّد الاضطرابات [٥٤].

وفى خط متواز مع هذه النصائح ، تواصل بعض أعضاء الوفد العثماني مع النخبة الفكرية والأعيان سراً . ومن المفارقات العجيبة ، نصح الوفد هؤلاء بطرح فكرة " تقسيم مصر إلى ثلاث مقاطعات ". ولاريب أن الباب العالي كان يبتغى من وراء هذه النصيحة الماكرة " إضعاف مصر". بيد أن النخبة المصرية رفضت بالإجماع هذه الفكرة. ويبدو أن زمرة من الأعيان والضباط قد أعربوا للوفد عن ميلهم للأمير عبد الحليم لاعتلاء كرسى الخديوية بدلاً من توفيق . وأخبر هذا الفصيل المحدود الوفد أنهم فى انتظار تعليمات السلطان عبد الحميد الثانى إما بأن يتقدموا بعريضة شاملة أو القيام بثورة عامة. وثمة لقاء سرى تم بين أحمد راتب وعرابى، أكد الأخير خلاله على ولائه للسلطان [٥٥].

ومن اللافت للنظر ، بينما غادر الوفد العثماني الإسكندرية إلى الأستانة يوم ١٩ أكتوبر ١٨٨١ م ، توجه أحمد راتب السكرتير الثانى للسلطان إلى الحجاز فى مهمة سرية للوقوف على نشاط مدحت باشا (١٨٢٢– ١٨٨٤ م) – أبو الدستور العثماني – بين العرب فى منفاه ، والتحرى عن وجود أية قنوات اتصال بين عرب آسيا وأفريقيا أو

أي مداولات بينهم إبان موسم الحج . ويعنى هذا ببساطة ، خشية السلطان العثماني من احتمالية تأسيس كيان عربى منبثق عن الولايات العربية العثمانية (٥٦).

ولعل هذه الملاحظة ، تدعو إلى التساؤل عن ردود أفعال وجود الوفد العثماني فى مصر لما يُناهز أسبوعين من الزمان على شبكة العلاقات العثمانية الأوروبية لاسيما القطبين الكبيرين المتنافسين بريطانيا وفرنسا.

مواقف وردود أفعال القوى الأوروبية

على نحو ما سبق بيانه ، تجاهل السلطان عبد الحميد الثانى النصائح البريطانية والتهديدات الفرنسية بشأن إرسال الوفد العثماني إلى مصر إثر وقائع أحداث ٩ سبتمبر ١٨٨١م . وفى الواقع ، اعتبر السلطان هذا الأمر داخلاً فى اختصاصاته وحقوقه المشروعة فى الخديوية المصرية ، وله حق ممارسته داخل دولته العلية فى أى وقت وبأي وسيلة .

بيد أن لندن وباريس قد أدركتا تماماً أن غاية السلطان العثماني توظيف الأزمة المصرية بين الخديو من ناحية والضباط والحزب الوطنى من ناحية أخرى فى استرداد سلطاته وتكريس الوجود العثماني فى مصر. ولذا ، أرسل سفيرا بريطانيا وفرنسا بالأستانة احتجاجاً إلى السلطان على اتخاذ هذه الخطوة دون مشاورة حكومتيهما ، واستفسرا عن ماهية الوفد وصفته (٥٧).

ورداً على الاستفسار البريطانى الفرنسى ، قطع عاصم باشا – وزير الخارجية العثمانية – بأن غاية الوفد إعراب السلطان عن رضاه عن نهج الخديو حيال الأحداث التى وقعت فى مصر يوم ٩ سبتمبر ١٨٨١م، ونجاح الخديو فى السيطرة على الأمور واستتباب الأمن . وأردف عاصم باشا قائلاً:" لما كانت المؤامرات ماتزال تُحاك ضد

الخديو، فقد رأى السلطان أن وجود وفداً من لدنه فى مصر ، يُمثل رسالة للحفاظ على الأوضاع القائمة فيها مما يُثبِت مكانة الخديو أدبياً ومعنوياً " . وأكد وزير الخارجية العثمانية أن الوفد لا يحمل أية فرمانات من السلطان للخديو ، بل مجرد رسائل طمأنة . ورغم هذا ، اتفقت لندن وباريس معاً على تقصير أجل الوفد فى مصر ومراقبته بصرامة حتى لا يتدخل فى أمور داخلية الخديوية المصرية (٥٨).

وقد اعتقد سانت هيلير Saint Helier– وزير خارجية فرنسا – أن وجود الوفد العثماني فى مصر قد يُؤدى إلـى " شرور خطيرة " جراء المؤامرات التى يُمكن أن يُحيكها الوفد مع بعض القطاعات من المصريين . ولذا ، كرَّر مجدَّداً طرح فكرة قيام مراقبة عسكرية ثنائية (إنجليزية – فرنسية) على غرار المراقبة المالية . بيد أن السلطات البريطانية رفضت هذه الفكرة حتى لا تتوازن فرنسا عسكرياً معها فى مصر ، وبحجة أنها سوف تُثير الإدارة العثمانية علاوة على عدم جدواها من منظور الجيش المصرى (٥٩).

وبديلاً عن المراقبة العسكرية الثنائية ، اقترحت فرنسا القيام بمظاهرة بحرية بريطانية فرنسية مشتركة قبالة سواحل الإسكندرية . ورمت باريس من وراء هذا الإجراء "إرهاب الباب العالي وتسريع عودة الوفد العثماني إلى الأستانة".وقد استحسنت لندن هذه الفكرة ؛ إذ إنها عملية مشتركة محدودة مرتبطة فقط بعودة الوفد العثماني. وفعلاً ، وافقت لندن وباريس على إرسال بارجتين حربيتين إلى سواحل الإسكندرية بحجة حماية الرعايا الإنجليز والفرنسيين وسائر الأوروبيين فى مصر (٦٠).

وفى يوم ١٤ أكتوبر ١٨٨١م ، وصلت البارجة الفرنسية ألما Alma. ومن المفارقات ، لم تصل البارجة الإنجليزية إنفنسبل Invincible إلا يوم ٢٠ أكتوبر ١٨٨١م؛ أى فى اليوم التالى لمغادرة الوفد العثماني الإسكندرية متجهاً إلى الأستانة (٦١).

غضبت الأستانة بشدة من لندن وباريس بمجرد أن تطايرت أنباء تحرك البارجتين إليها . ولذا ، فلاغرو أن عارض الباب العالي إرسالهما إلى الإسكندرية من منطلق عدم وجود أي أسانيد قانونية لاتخاذ هذا الإجراء . وطالب حكومتىَّ بريطانيا وفرنسا مغادرة البارجتين حتى لا يُؤدى وجودهما إلى قيام ثورة عامة فى مصر [٦٢] .ويُلاحظ أن الباب العالي قد ركز بالأساس على البارجتين الفرنسية والإنجليزية رغم وصول البارجتين الإيطالية Affondatore والنمساوية Zrinifn إلى الإسكندرية قبلهما [٦٣].

وجدير بالذكر أن باريس قد تشدَّدت أكثر من لندن إزاء السلطان والخديو. فمثلاً، عندما اقترح الخديو توفيق على نظامى باشا السفر إلى الأستانة لاستلام نيشان الامتياز من السلطان نفسه ، بادر سنكفكس – قنصل عام فرنسا فى القاهرة – بإبلاغ خارجية بلاده أن هدف الزيارة تنسيق الخديو مع السلطان للتدخل المسلَح فى مصر ، ولذا ، يجب على باريس التنسيق مع لندن للحيلولة دون إتمام هذه الزيارة [٦٤].

وإذا كانت فرنسا قد تشدَّدت فى موقفها خشية على مصالحها الإستراتيجية فى شمال أفريقيا ، فقد أعلنت النمسا أن الأزمة المصرية لا تدخل فى مجال اهتماماتها الحيوية، وأعربت عن أملها فى أن يكون المصريون راضين عما يحدث فى بلادهم . وأكدت ألمانيا أن الباب العالي لم يطلب رسمياً نصيحتها فى المسألة المصرية ، وأرسلت الخارجية الألمانية إلى كونت مونستر Count Munster – سفيرها فى لندن – بالتحفظ تماماً فى محاولات الباب العالي طلب النصيحة الألمانية رسمياً[٦٥].

وقد أبلغ جرانفيل – وزير خارجية بريطانيا – الأمير لوبانونLobanon – سفير روسيا بلندن – أن حكومتىّ لندن وباريس تعملان معاً فى "وئام " ، ولا تسعيان للقضاء على الحقوق العثمانية فى مصر ، وهما حريصتان على إبقاء"الوضع الراهن" فى العلاقات

القائمة بين السلطان والخديو ، وفى الوقت نفسه ، حريصتان على عدم التدخل العثماني فى الداخل المصرى . وأكد جرانفيل مجدَّداً للإدارة الروسية ، أن حكومتىّ لندن وباريس سوف تنتهجان السياسة نفسها " ما لم يتغير الوضع تماماً". وجدير بالإشارة أن الخارجية الروسية قد اقتنعت بوجهة النظر الفرنسية والإنجليزية فى المسألة المصرية ، وأكدت عدم وجود أي علاقة لها مع الوفد العثماني (٦٦). وأبلغت إيطاليا حكومة لندن أنه رغم عدم وجود أية مطامع لها فى مصر ، فيجب مساواتها مع بريطانيا وفرنسا فى حالة حدوث " أدنى تغيير" هناك (٦٧).

تلك ، هى ردود فعل القوى الكبرى الرسمية إزاء إرسال الدولة العثمانية وفداً لتقصى الحقائق عما جرى فى مصر يوم ٩ سبتمبر ١٨٨١م .وإذا كانت مواقف فرنسا متشددةٌ وبريطانيا مراوغة ، فقد اتسمت مواقف وردود أفعال إيطاليا والنمسا وألمانيا وروسيا بالتحفظ . ولعل السؤال الذى يطرح نفسه هنا : ما هى ردود أفعال وجود الوفد العثماني فى مصر على مستوى الرأى العام ؟

الرأى العام والوفد العثماني

يُمكن قياس الرأى العام آنذاك من خلال الصحف التى تُشكله وتصيغه وتُعبئه. وفى هذا الصدد تُعد صحيفة " التايمز" اللندنية من أوسع وأبرز قنوات التأثير فى الرأى العام البريطانى خصوصاً والأوروبى عموماً . وقد تابعت الصحيفة الوفد العثماني عشية اتخاذ السلطان العثماني قرار إرساله إلى مصر فى مطلع أكتوبر ١٨٨١م ، وحتى مغادرته فى ١٩ أكتوبر ١٨٨١م . وحسب تحليل التايمز، تسبب الوفد العثماني فى تمركز المسألة الشرقية فى مصر . وأبدت الصحيفة ارتياحها إلى أن هذه الخطوة جاءت من الدولة العثمانية ولم تأتِ من بريطانيا حتى " لا ينال الإنجليز بعضاً من سوء العاقبة التى تحدث

إثر هذا " . وقد توقعت نشوء " صعوبات كثيرة "جراء هذا الوفد. بيد أن الحفاظ على المصالح المادية للدول الأوروبية فى مصر أهم من مسألة تبعيتها للدولة العثمانية . وردَّدت الصحيفة ضرورة رفض التدخل العثماني فى مصر ، وفى الوقت نفسه ، نصحت بعدم تدخل أي دولة أوروبية فى الأمور الداخلية لمصر خصوصاً وأن ثورة الجيش كانت موجهة ضد التدخل الأجنبى فى الإدارة المصرية(٦٨).

وإلى حد ما ، تابعت صحيفتا سبيكتيتور The Spectator ومورننج بوست The Morning Post الإنجليزيتين تداعيات وجود الوفد العثماني فى مصر على المسألة الشرقية والعلاقات العثمانية الأوروبية وشبكة المصالح الإنجليزية والفرنسية فى مصر . وألمحت سبيكتيتور بأن بريطانيا وفرنسا قد فرضتا رقابة مالية ثنائية على مصر حفظاً لمصالحهما الاقتصادية . وتنبأت الصحيفة بعدم استمرارية الرقابة الثنائية البريطانية الفرنسية ، ورجحت إلغاءها إثر حركة عسكرية أو بتدخل عثمانى مباشر . وعندئذ ، ناشدت الصحيفة لندن وباريس بأن يتفقا معاً حتى لا تصطدم مصالحهما وينخرطا فى حرب. وعلى النقيض من هذه الرؤى ، استبعدت مورننج بوست التنسيق الإنجليزى الفرنسى بشأن المسألة الفرنسية (٦٩).

وإذا كانت الصحافة البريطانية وما صاغته من رأى عام قد اتسما بالرزانة وضبط النفس والترقب والحذر ، فعلى النقيض تماماً ، اتسمت الصحافة الفرنسية بالانفعالية وإثارة الرأى العام . وفى هذا السياق ، اتفقت صحيفتا La Republique Francais و La Liberte الفرنسيتين مع الصحافة البريطانية فى أن الوفد العثماني قد نقل المسألة الشرقية إلى مصر . بيد أنهما قد اتهمتا ألمانيا- عدو فرنسا اللدود – فى تحريك السلطان لإرسال الوفد العثماني . وتبنت الجريدتان مقاومة تدخل الباب العالي فى مصر ؛ إذ أن استرداد السلطة العثمانية فى الخديوية المصرية من شأنه تهديد المصالح الفرنسية فى

تونس والجزائر . ونوَّهت الصحيفتان إلى تعزيز العلاقات الفرنسية الإنجليزية فى مواجهة المحاولات العثمانية للتدخل فى أمور الخديوية المصرية (٧٠).

وكانت صحيفة الديبا Le Journal Des Débats أكثر الصحف الفرنسية إثارة للقلاقل وتهييج الرأى العام . وقد استغلت وجود الوفد العثماني فى مصر لإحداث وقيعة بين الخديوية المصرية والدولة العلية عن طريق مقالات مراسلها بالقاهرة شارم . Charmes ومن هذا القبيل، كتب بأن المصريين مستاءون من الوفد العثماني وتدخل الباب العالي فى شئونهم الداخلية . وأشار إلى أن المصريين لم ينسوا على فؤاد بك – المعتمد الثانى للوفد العثماني– الذى حمل فرمان عزل الخديو إسماعيل من الأستانة فى منتصف عام ١٨٧٩ م . وألمح إلى أن وجوده فى القاهرة قد أثار الجناح العسكرى فى الحركة الوطنية المصرية . وقد صوَّر هذا الجناح بكونه مجرد " أداة " فى أياد السلطان عبد الحميد والأمير عبد الحليم عم الخديو توفيق . وذهب شارم إلى أن ثورتهم لا تعدو أن تكون تمرداً عسكرياً ، وحذَّر أن تشغل الأزمة المصرية حيزاً كبيراً فى اهتمامات أوروبا والدولة العثمانية . وبغية توتير العلاقات العثمانية البريطانية ، سجَلت الصحيفة أن من بين أهداف الوفد العثماني تجييش مسلمى مصر فى سياق الجامعة الإسلامية التى يُعدها عبد الحميد الثانى لإرهاب الدول الأوروبية الطامعة فى اقتطاع أملاك دولة الخلافة الإسلامية . وألمحت الصحيفة بأن الوفد العثماني سوف يُؤثر على الكتلة الإسلامية فى الهند وقوامها ٤٥ مليون مسلم . ولذا ، اتجهت بريطانيا إلى الدولة العثمانية بعد أحداث ٩ سبتمبر ١٨٨١م للحفاظ على مصالحها فى الهند . ولعل هذا ما شجع الباب العالي على إرسال الوفد العثماني إلى مصر (٧١).

هذا، وقد نقلت الصحف الإنجليزية بعضاً من ردود فعل الصحافة الروسية والنمسوية والألمانية بشأن تداعيات وجود الوفد العثماني فى مصر . فمثلاً ، استعرضت

التايمز البريطانية رأى صحيفة " بطرسبورج " الروسية شبه الرسمية وخلاصته : نادت ببقاء المسألة الشرقية على وضعها الراهن آنذاك ، وإقرار السلام على نحو ما أقره الساسة الأوروبيون . وفى حال حدوث قلاقل فى مصر ، اقترحت الصحيفة مواجهتها بالتعاون بين الدول وليس بالمغامرة أو انفراد دولة ما بالتصدى لها [٧٢].

ونقلت صحيفة ستاندارد البريطانية خلاصة لآراء الصحافة الألمانية التى ركزت على التقارب الألمانى العثماني . وقد اعتقد الرأى العام الألمانى بأن السياسة البريطانية " خالية من الحزم " ، وتتسم بالتردُّد. وامتدح الألمان سياسة الباب العالي لأنها " منعت بريطانيا من ابتلاع مصر "[٧٣]. واستعرضت صحيفة مورننج بوست الرأى العام الإيطالى بشأن تداعيات إرسال الوفد العثماني إلى مصر . وخلاصته : لا يُمانع الإيطاليون فرض بريطانيا حمايتها على مصر حفاظاً على مصالحها الإمبراطورية. وقد اندهش الإيطاليون بتحالف بريطانيا مع فرنسا الممقوتة لدى العرب عكس إيطاليا[٧٤].

وعلى نحو ما فعلت الصحافة البريطانية بالتفاعل مع الرأى العام الأوروبى ، اهتمت جداً بنبض الرأى العام العثماني لاسيما فى الأستانة فيما يخص تداعيات إرسال وفد إلى القاهرة لاستقصاء الحقائق . ليس هذا فحسب ، بل أثارت جملة من الأفكار والمقترحات للوقوف على رد فعل الرأى العام العثماني إن لم يكن بذر الشقاق والقلاقل بداخله . ومن هذا القبيل ، نشرت صحيفة ستاندارد الإنجليزية بعد مغادرة الوفد العثماني بيومين ؛ أى فى ٢١ أكتوبر ١٨٨١م ، تقريراً بأن السلطان عبد الحميد الثانى لن يُوافق على منح المصريين " حكومة شورية " إلا إذا عرضته الحكومة المصرية عليه للتصديق. وعرجت الصحيفة إلى أن الخديو إسماعيل أسس مجلس شورى النواب (١٨٦٦) دون استئذان السلطان عبد العزيز (١٨٦١-١٨٧٦م) آنذاك . ولذا ، فلاغرو أن ينتهج الخديو الابن سلوك الخديو الأب [٧٥].

وفى يوم وصول الوفد العثماني إلى الإسكندرية يوم ٧ أكتوبر ١٨٨١ م ، نشرت ستاندارد تقريراً عما أسمته مقترحات بعض قطاعات الرأى العام فى الأستانة لحل الأزمة المصرية . وثمة اقتراح طرحته الصحيفة مفاده إذا اقتضت الأحوال " احتلال مصر " ، فالأفضل تفويض أسبانيا للقيام بهذه المهمة بإسم الدولة العثمانية لأنها من الدول المحايدة، وليست طرفاً فى المسألة الشرقية . بيد أن الصحيفة عادت وعلَقت على هذا الاقتراح بقولها: " إنه من الشطط والهوس والخروج عن المألوف " . و يبدو أن الباب العالي روَّج لهذه الفكرة نكاية فى فرنسا ذات العلاقات غير الودية مع أسبانيا (٧٦).

وبعد مرور أسبوع على وجود الوفد العثماني فى مصر ، نشرت صحيفة بول مول جازيت Pall Mall Gazzete الإنجليزية فى ١٤ أكتوبر ١٨٨١ م مقالاً لإرباك الرأى العام العثماني . إذ ذكرت بأن" قطاعات" من العثمانيين يعتقدون أن رئيس النظار المصرى محمد شريف باشا عازم على إحياء مشروع إقامة دولة عربية تتشكل من ليبيا وسوريا وبلاد العرب التى شرع فى تنفيذها صهره سليمان باشا الفرنساوى (١٧٨٧-١٨٦٠م) زمن الوالى الكبير محمد على باشا (١٨٠٥-١٨٤٨م) وابنه القائد إبراهيم باشا (١٧٨٩-١٨٤٨م) (٧٧). وفى ختام المقال ، نفت الصحيفة أن يسير شريف باشا على درب سليمان باشا الفرنساوى ؛ إذ أنه كرَّس جهوده لتنمية الإدارة الداخلية وتحقيق العدل وتنظيم المالية والاهتمام بالتعليم داخل الخديوية المصرية (٧٨).

وكشفت صحيفة التايمز بأن الأخبار والمعلومات والأفكار والرؤى التى تلقاها الرأى العام العثماني عن ماهية وأغراض الوفد العثماني قد اتسمت بالتناقض والالتباس. فمرة أن الهدف منه إبقاء الأوضاع فى مصر على ماهى عليه ومساندة الخديو أدبياً ، ومرة ثانية التأكيد مجدَّداً على تبعية مصر للباب العالي . ورغم أن السلطان قد سمح بتدخل الأجانب مالياً فى مصر ، فالأمر مختلف عند حدوث أزمة بين العساكر المصرية

الذين هم من العساكر السلطانية . ولذا ، يجب التدخل مباشرة . وقد أثنى الرأى العام فى الأستانة على السلطان حين ضرب عرض الحائط بتهديدات فرنسا،وأرسل وفداً إلى مصر للنظر فى أحوالها وتقديم المشورة للخديو منعاً لتكرار التظاهر العسكرى [٧٩].

ومن الفضاء العثماني إلى الفضاء المصرى ، فقد فوجىء الخديو توفيق باشا بخبر الوفد العثماني عبر برقية أرسلها السلطان عبدالحميد الثانى فى ٢ أكتوبر ١٨٨١م،أعرب فيها عن سروره لنجاح الخديو فى إقرار الهدوء فى مصر . وانطلاقاً من رضاه ودعمه ، أرسل السلطان إليه على نظامى باشا وعلى فؤاد بك .[٨٠] وبمجرد استقبال البرقية ، استدعى الخديو قنصلىّ بريطانيا وفرنسا ، وأبلغهما بمضمون البرقية ، وطلب مشورتهما . وحسب مالت الإنجليزى وسنكفكس الفرنسى ، أن حكومتيهما قد نصحتا السلطان بعدم اتخاذ هذه الخطوة ، وأنهما سوف تخطران خارجيتهما بهذا النبأ [٨١].

وخوفاً من أن يكون الوفد العثماني مقدمة للاحتلال العثماني العسكرى لمصر، ناشدت النظارة المصرية قنصلىّ بريطانيا وفرنسا بضرورة استخدام "نفوذ " لندن وباريس فى الأستانة لتقصير فترة وجود الوفد فى مصر [٨٢] . وفعلاً طالبت الخارجيتان البريطانية والفرنسية سفرائهما فى الأستانة إقناع السلطان بتقصير أجل وجود الوفد فى مصر لاسيما وأنهما قد تأكدتا من أن غايته هو تأكيد السلطان لحقوقه فيها . وفى نفس الوقت ، أكدتا عليهما بإبلاغ السلطان عدم توسيع هذه الحقوق تمهيداً لإلغاء الحكم الذاتى لمصر والتدخل فى إدارتها الداخلية [٨٣]. كما أبلغت لندن وباريس قنصليهما فى مصر بمساعدة الخديو فى الحفاظ على استقلال بلاده حسبما قرّرت الفرمانات السلطانية ، واستخدام نفوذهما لإحباط أي محاولة من جانب الوفد العثماني للسيطرة على النظارة والتأثير على الجيش[٨٤].

وجدير بالتسجيل أن الخديو قد استفاد من الوفد العثماني الذى دعمه ونظارته (الحكومة المصرية) فى مواجهة التيار الثورى ؛ إذ إنه تسَبب فى مغادرة عرابى بك بسرعة إلى رأس الوادى بعد أن كان يتلكأ فى تحديد موعد الرحيل (٨٥) .هذا ، وقد خشيت لندن وباريس أن يضغط الوفد العثماني على الخديو وحكومته لإلغاء المراقبة المالية الثنائية على الميزانية المصرية . بيد أن الخديو لم يكن مستعداً لخوض معركة خاسرة مع بريطانيا وفرنسا فى وقت صعود نجم الثوار فى المشهد المصرى . ولذا ، انحاز الخديو وحكومته لهما ، ونسق معهما آليات التعامل مع الوفد العثماني (٨٦).

ورغم هذا ، اعترض الخديو توفيق والنظارة المصرية على إرسال البارجتين إنفنسيل الإنجليزية وألما الفرنسية إلى سواحل الإسكندرية للضغط على الباب العالي لتقصير مدة بقاء الوفد العثماني فى مصر . واعتبر الخديو أن هذا السلوك يتناقض مع ما أعلنتاه لندن وباريس من حرصهما على عدم تدخل أية دولة فى شئون مصر . ولاريب أن الخديو ونظاره قد خشوا من احتمالية انفلات الأمور واستفزاز الثوار العسكريين جراء وجود البارجتين . ولطمأنة الخديو ، أعلنت حكومتا لندن وباريس أن هدف إرسال البارجتين تهدئة الرعايا الأجانب فى الإسكندرية ، وسوف تنتهى مهمتهما فى نفس اليوم الذى سيُغادر فيه الوفد العثماني مصر (٨٧) .ولا ريب أن الحكومة المصرية كانت تخشى تأثير وجود الوفد العثماني على سحب أسهم رصيد الاستقلال الذاتى الذى نالته مصر منذ فرمان ١٨٤١ وما تلاه (٨٨).

وفيما يخص رد فعل وجود الوفد العثماني على الجناح العسكرى للحركة الوطنية، فقد أسرعت الحكومة المصرية فى إصدار مجموعة القوانين العسكرية التى أسهمت فى إصلاح أحوال العسكريين والنهوض بهم . وقد ابتغت الحكومة إرضاء الثوار، وفى الوقت نفسه ، إظهار أن الأمور مستقرة أمام الباب العالي . ولا يخفى أن التيار العسكرى المصرى

كان على اتصالات سرية مع الباب العالي ، وبذا ، تفوّت الحكومة المصرية عليه توظيفهم ضد الخديو ونظاره . وقد نجح العسكريون فى رفع شأنهم عند السلطان عندما أظهروا ولاءهم الكامل له ، وكذا للخديو وحكومته . وبذا ، فوَّتوا الفرصة على الخديو الذى صوَّرهم للسلطان بأنهم ساعون للانفصال عن الجسد العثماني وتكوين دولة مستقلة ، وهى أمور تُثير السلطان بشدة ضدهم (٨٩).

وثمة شهادة جد مهمة سجلها أحمد شفيق باشا- رئيس الديوان الخديوى- فى مذكراته بشأن شبكة الرؤى المتباينة بين الباب العالي والجناح العسكرى فى مصر . وحسب نص الرجل : " من المتناقضات ما سمعناه من أنه بينما كان على نظامى باشا يُنادى بتأييد الخديو ، كان أحمد راتب باشا أحد القواد العثمانيين الذى حضر لمصر بحجة المرور لأداء فريضة الحج ، يتقابل مع عرابى فى معسكره برأس الوادى ويُبلغه السلام الشهانى والرضا العالي وعناية الخليفة الدائمة به ، وأنه ملقه ومجَد حركته . ففاضت نفس عرابى غروراً وكبراً وثقةً ، واعتقد أنه زعيم مصر الأكبر والعامل لإعلاء كلمة الخليفة العثماني بين المسلمين . وخُيل إليه – بما له من القوة يستمدها من التفات الجيش حوله – قد غدا صاحب الكلمة النافذة وأن إليه مرجع الأمر كله دون الخديو وحكومته " (٩٠) .

هذا ، وقد نجح الحزب الوطنى فى إقناع الوفد العثماني بأنه معادِ للأجانب وموالِ للسلطان والخديو ؛ إذ أن حركته فى ٩ سبتمبر ١٨٨١م كانت لمنع تدخل الأوروبيين فى الإدارة المصرية . وليس هذا رأى النخبة فقط ، ولكنه رأى عموم المصريين . وحسب التايمز ، كان السلطان العثماني يميل إلى الحزب الوطنى الراغب فى الحيلولة دون تداخل الأجانب فى مصر . وامتدحت الصحيفة الحزب الوطنى وارتأت أنه " إذا أُحكم سيره ، أفاد الحكومة المصرية ، ونفوذ بريطانيا وفرنسا ". ونادت بضرورة الاهتمام بتجربة هذا

الحزب ؛ حيث فى إمكانه الاستعانة بالباب العالي فى حال وقوع أخطاء ضد الجيش المصرى [٩١].

وفيما يخص رد فعل الرأى العام المصرى، فقد كشفت الصحافة المعاصرة أن عموم المصريين قد أدركوا الهدف " السلمى " للوفد العثماني . ولم يدرِ فى خلدهم إحداث تغيير فى النظارة المصرية القائمة آنذاك (نظارة شريف باشا) ، أو قيام السلطان بإلغاء امتيازات مصر بعد أن جعل للبلغار والروم إيلى (روميلليا) الشرقية ومتصرفية جبل لبنان حكومات ذات إدارات اختيارية . وقد استبعد الرأى العام فى مصر قيام السلطان بإلغاء الامتيازات المصرية خشية الصدام مع أوروبا [٩٢].

الخاتمة

وهكذا ، اتضح مما سبق أن مظاهرة الجيش المصرى فى ساحة قصر عابدين يوم ٩ سبتمبر ١٨٨١م تُعد علامة فارقة ومحورية فى مصر مطلع ثمانينيات القرن التاسع عشر. وكما أنها هزت مكانة الخديو توفيق وهيبته، فقد سعت الدولة العثمانية لاستثمارها قدر المستطاع عساها استرداد موقعها وموضعها فى مصر. ولهذا ، بعثت وفداً رسمياً بعد شهر تقريباً إلى مصر لاستقصاء الوقائع و استجلاء الحقائق وجس النبض على أرض الواقع. وبين رعونة الخديو المصرى ودهاء السلطان العثماني ، تربصت القوى الأوروبية الكبرى ذوات المصالح الحيوية والإستراتيجية لتحريك الأمور فى الأستانة والقاهرة بما يصب فى مجرى مصالحهم .

ورغم أن الأستانة قد أعلنت بأن غاية الوفد العثماني هى إعادة إقرار النظام وتثبيت نفوذ الخديو فى مصر، فثمة شكوك وارتيابات حول الوفد سيطرت على الخديو والحكومة المصرية والدوائر الإنجليزية والفرنسية . إذ مع التسليم بحقوق الحكومة العثمانية فى

الخديوية المصرية ، فقد خشى الجميع أن تكون غاية الوفد غير المعلنة تهيئة الأوضاع لاحتلال الباب العالي مصر عسكرياً . ولذا ، فلاغرو أن روَّجوا فكرة أن التدخل العثماني لن يجلب إلا الأضرار الجسيمة ، ويجب على الخديو وحكومته والدوائر الأوروبية منعه بكل وأي وسيلة . ومنذ وُلدت فكرة إرسال الباب العالي وفداً إلى مصر ، أسرعت الدوائر الدبلوماسية البريطانية – الفرنسية فى محاربتها وفعلاً ، نجحت فى إقصاء مسألة إرسال قوات عسكرية عثمانية ، وكذا ، إرسال وفداً ذا صبغة عسكرية . وانتهى الأمر بإرسال وفد عثمانى مدنى وإن كان بخلفيات عسكرية سابقة ومن المقربين للسلطان عبدالحميد الثانى شخصياً .

وقد كشف البحث عن الوضع الشائك والمرتبك للخديو توفيق رأس الحكم فى مصر . وفى هذا الخصوص ، كان الخديو يُدرك جيداً حساسية وضعه القانونى وأنه تابع للباب العالي شرعياً ونظرياً . ولذا ، يجب عليه الامتثال لأوامر وتوجيهات وتعليمات السلطان العثماني . ولاريب أن توفيق خشى عزله من الخديوية على نحو ما حدث مع أبيه . وفى نفس التوقيت ، أدرك توفيق أن بقاءه مرهوناً برضاء لندن وباريس . ولذا ، حرص على التنسيق مع قنصليهما العامين فى مصر . كما اكتشف الخديو قوة وتأثير الجيش فى صناعة الأحداث وتوجيهها . وفى ظل هذه التشابكات وتلك التوجسات ، اهتزت بشدة مكانة الخديو إثر مظاهرة ٩ سبتمبر ١٨٨١ م وتداعياتها فى خط متواز مع صعود نجم أحمد عرابى .

وعلى خلفية هذه الخريطة الشائكة ، كشف البحث أن الدوائر المصرية والبريطانية والفرنسية قد فرضت رقابة صارمة على تحركات الوفد العثماني حتى لا يتسنى له الحصول على معلومات من شأنها التأثير على مصالح هذه الأطراف . وثمة بوارج حربية أوروبية

أمام السواحل المصرية بالإسكندرية بغية الضغط على الوفد العثماني لتقصير مدة وجوده فى مصر والتلويح بالتدخل العسكرى إذا تصاعدت الأزمة المصرية .

وإذا كانت الحساسيات والتوجسات قد وسمت العلاقات العثمانية –البريطانية والفرنسية ، فقد خلق وجود الوفد العثماني فى مصر مناخاً مشوباً بالحذر والتوتر بين جناح الخديو ونظارته من ناحية ، وبين الثوار والحزب الوطنى من ناحية أخرى . وبات كلاهما يتربصان بعضهما البعض . ومن المفارقات ، نجح قنصلا بريطانيا وفرنسا فى مصر توجيه الجناحين بإخفاء الوقائع والحقائق عن الوفد العثماني وتصوير الأمور على ما يُرام حتى لا تتطور الأزمة إلى التدخل العسكرى سواء من الدولة العثمانية أو القوى الأوروبية المرابطة ببوارجها فى المياه المصرية .

وتُعد أبرز تداعيات مظاهرة عابدين ٩ سبتمبر ١٨٨١ م قبول الخديو توفيق الاستعانة بقوة عسكرية خارجية لإنقاذ عرشه فى مواجهة الثوار . وقد فجّر الوفد العثماني لتقصى حقائق الأزمة المصرية المسالة الشرقية . ولم تتمكن الدولة العثمانية من استرداد الخديوية المصرية أو توسيع دوائر نفوذها فيها ، ولكنها كسبت اعتراف بريطانيا وفرنسا بحقوقها التى أقرتها سلفاً الفرمانات السلطانية . وأخيراً ، كشف البحث النقاب عن نجاح بريطانيا فى إقصاء التدخل العسكرى العثماني ووضع فرنسا فى المواجهة مع الأستانة والقاهرة حتى تحين لها الفرصة للتدخل العسكرى فى مصر ، وهو ماحدث فعلاً عام ١٨٨٢ م بعد أقل من عام على مغادرة الوفد العثماني مصر .

الهوامش:

([1])The Daily News : 7 October 1881 , London ,P.1 .

شكل مصطفى رياض باشا النظارة المصرية ثلاث مرات خلال العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر . أولها (النظارة السادسة ٢١ سبتمبر ١٨٧٩ – ١٠ سبتمبر ١٨٨١م) ، وثانيها (النظارة الثانية عشرة ٩ يونية ١٨٨٨ – ١٢ مايو ١٨٩١ م) ، وثالثها (النظارة السادسة عشر١٩ يناير ١٨٩٣– ١٥ أبريل ١٨٩٤م) . وللمزيد :

(فؤاد كرم : النظارات والوزارات المصرية، الجزء الأول (٢٨ أغسطس ١٨٧٨– ١٨ يونية ١٩٥٣ م) ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ص ٩٥–٩٧، ١٣١–١٣٤، ١٤٩ –١٥١ ؛ لورد كرومر : الثورة العرابية ، ترجمة : عبدالعزيز عرابى ، سلسلة الألف كتاب الثانى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٧ م ، ص ص ٦٦–٦٧، ٧٠–٧١ .

([2])The Times : 6 October 1881, London , P.2 ; 7 October 1881, P.1 .

(3)Ibid : 7 October 1881, P.2 .

([٤]) تولى محمد شريف باشا رئاسة النظارة أربع مرات . الأولى (النظارة الثالثة ٧ أبريل ١٨٧٩ – ٥ يولية ١٨٧٩ م) ، والثانية (النظارة الرابعة ٥ يولية ١٨٧٩ – ١٨ أغسطس ١٨٧٩) ، والثالثة (النظارة السابعة ١٤ سبتمبر ١٨٨١ – ٤ فبراير ١٨٨٢ م) ، والرابعة (النظارة العاشرة ٢١ أغسطس ١٨٨٢– ١٠ يناير ١٨٨٤ م) . وللمزيد :

(فؤاد كرم : المصدر السابق ، ص ص ٨٥–٨٦ ، ٨٩–٩٠ ، ٩٨–١٠١، ١٢٠– ١٢٦).

([٥]) دار الوثائق القومية بالقاهرة : محافظ الأبحاث ، محفظة رقم ١١٦ ، ملف رقم ٢ ، ترجمة برقية من الجناب الخديو إلى الباب العالى فى ٩ سبتمبر ١٨٨١ م (١٥ شوال ١٢٩٨ هـ) .

([6])The Times : 14 October 1881, P.1.

([٧]) الوطن : ١٥ أكتوبر ١٨٨١، القاهرة ، ص ٢ .

نجح الوالى محمد على باشا (١٨٠٥ –١٨٤٨) فى إبرام معاهدة لندن ١٨٤٠ التى اعترفت فيها الأستانة بشبه استقلال للولاية المصرية التى صارت شبه دولة مستقلة ، وليست مجرد ولاية عثمانية ، وتأسسَت أسرة محمد على المالكة بموجب فرمان ١٨٤١ وجعل وراثة الحكم فى أكبر أبناء أسرته ، ولكن فرمان ١٨٦٦ جعل الوراثة فى أكبر أبناء الحاكم . وفى العام التالى ، ١٨٦٧ ، حصل الوالى إسماعيل باشا على لقب "خديو"(نبيل أوشريف بالفارسية) ليُميزه منفرداً على بقية ولاة الدولة العثمانية . وقد أكد فرمان ١٨٧٣ م على جميع حقوق مصر السابقة ، وأكد على حق التشريع والإدارة الداخلية وإدارة الجيش . واعترفت الدول الكبرى بـ " دولية " مصر ، واتفقت معها على تأسيس

المحاكم المختلطة (١٨٧٥م ، وعقدت اتفاقيات تجارية مع إيطاليا والنمسا – المجر وألمانيا وفرنسا ، واشتركت فى معارض ومؤتمرات دولية . وللمزيد :

(محمد أبو طائلة : مركز مصر الدولى من الفتح العثمانى إلى الوقت الحاضر ، مطبعة جريدة الصباح بمصر ، القاهرة ، ١٩٢٤م ، ص ص ٥٦-٦٢).

(٨) محافظ الأبحاث : محفظة رقم ١١٦ ، ترجمة برقية من الباب العالى إلى الخديو فى ١٠ سبتمبر ١٨٨١ م (١٩ شوال ١٢٨٩ هـ).

(٩) نفسه : ترجمة برقية من الخديو إلى الباب العالى فى ١١ سبتمبر ١٨٨١م (١٧ شوال ١٢٨٩ هـ).

(١٠) يُعد يعقوب صنوع (١٨٣٩- ١٩١٢م) من الشخصيات المثيرة للجدل فى التاريخ المصرى الحديث ؛ إذ كان كاتباً هزلياً وصحفياً وروائياً ورائداً وطنياً . درس الاقتصاد السياسى والقانون الدولى والعلوم الطبيعية والفنون الجميلة. كتب روايات هزلية باستخدام اللغة العربية العامية . وأقنع الإنجليز الخديو إسماعيل بأن تأثير صنوع يتخذ شكلاً عدوانياً ، ولذا ، منعه من الكتابة . ومع تورطه فى الحركة الماسونية ، ازدادت حدة هجومه وسخريته على حاشية الخديو والمؤيدين لها . وبدعم مباشر من الأفغانى ومحمد عبده ، أصدر صنوع جريدة ساخرة باللهجة العربية العامية أسماها " أبونظارة زرقاء " ، هاجم فيها الخديو والسلطان ، ونالت دعم الأمير عبدالحليم – شقيق الخديو إسماعيل _ الذى يرى أحقيته فى وراثة الخديوية المصرية . ولهذا ، نفى الخديو صنوع إلى باريس عام ١٨٧٨ ، وهناك أعاد إصدار جريدته ، وبنفس سياستها التحريرية والتمويلية . ويُعد صنوع رائداً فى الصحافة والمسرح .ورغم أنه يهودى الديانة ، فإنه وطنى مصرى انتهج سياسة النقد اللاذع للحكام المحليين والأجانب على حد سواء وللمزيد:

(آرثر جولد شميت : قاموس تراجم مصر الحديثة ، ترجمة : عبدالوهاب بكر ، المجلس الأعلى للثقافة ، رقم ٥٢١ ، القاهرة ، ٢٠٠٣ ، ص ص ٤٠٩ -٤١١ ؛ بول دى بينير : ألبوم أبونظارة يعقوب صنوع ، المركز القومى للمسرح والموسيقى والفنون الشعبية ، رقم ١٠ ، القاهرة ، ٢٠٠٩ ، ص ص ٦٦ ومابعدها) .

([11])Blunt, Wifrid Scawan : Secret History of the English Occupation of Egypt , London , 1907,PP. 100 -106

(١٢) عبدالمنعم إبراهيم الدسوقى الجميعى : الثورة العرابية ---- بحوث ودراسات وثائقية ، دار الكتاب الجامعى ، القاهرة ١٩٨٢ ، ص ص ٨٠-٨١ .

(13)The Public Record Office Archives : Foreign Office (F.O) , 78/3457 , No .207 , The Earl of Dufferin to the Earl of Granville , September 16 , 1881 .

(14) Ibid .

(**15)** Ibid :141 / 291 , No .301 , The Earl of Granville to The Earl of Dufferin , September 17 , 1881 ; 141/142 , No . 178, From Malet to the Earl of Granville, September 21, 1881.

([16]) Ibid : 141 / 291 , No 332, From the Earl of Granville to Lyons, September 30 , 1881 .

([17])La Liberte : September 17 , 1881 , p.1 ; L᾽ Egypt : September 14 , Le Caire , p.1 .

للمزيد عن الصحافة الفرنسية وموقفها من الثورة العرابية :

محمود نجيب أبوالليل : الصحافة الفرنسية فى مصر منذ نشأتها حتى نهاية الثورة العرابية ، القاهرة ، ١٩٥٣ ، ص ص ٢٦٠- ٢٨٢ .

([18])F . O : 78/3434 , No. 202 , from Adms to the Earl of Granville , September 16 , 1881 .

([19])Ibid : 78/ 3418 , No .117, from The Earl of Dufferin to the Earl Granville , September 20 , 1881 .

Ibid : 141 /293 , No . 223, from the Earl of Granville to Lyons , September [20]) 30 , 1881. (

([21]) Ibid : 141/142 , No. 179 , from Malet to Granville , September 21 , 1881 ; 78/3426 , No.311 , from Wyndhum to Granville , September 28 , 1881 .

([22])The Times : 1 October 1881 , p.2.

([23]) Ibid : 7 October 1881 , p.1 ; 21 October 1881 , p.2.

لمزيد من التفاصيل عن علاقات محمد شريف باشا بالدولة العثمانية وبريطانيا وفرنسا :

طلعت إسماعيل رمضان :محمد شريف باشا ودوره فى السياسة المصرية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣ م، ص ص ١٥٦-١٦٥.

([24])21 October 1881, P.1. The Standard :21 October 1881, P.3 ; The Times :

للمزيد عن صعود ألمانيا ودورها فى توازنات القوى الأوروبية خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر:

(هـ . أ. ل.فشر : تاريخ أوروبا فى العصر الحديث ١٧٨٩- ١٩٥٠ ، دار المعارف ، القاهرة، ١٩٧٦ ، ص ص ٣٨٤-٣٩٦) .

([25]) 291 , No.347,from the Earl of Granville to Wyndhum , 4 October 1881. /F.O: 141

([26]) Ibid : 141/ 291 ,No.332, from The Earl of Granville to Lyons , September 30 ,1881 ; The Times : 20 October 1881, P.3 ; 28 October 1881 , P.2 .

([27]) The Times : 7 October 1881 ,P.2.

([28]) 144 , No.296,from the Earl of Dufferin to the Earl of Granville, October 1, 1881. /F.O: 141

(٢٩) محافظ الأبحاث : رقم ١١٦ ، ترجمة برقية من القبوكتخدا إلى الخديو فى ٣ أكتوبر ١٨٨١ (١٠ ذى القعدة ١٢٩٨ هـ) ؛ عبد الرحمن الرافعي: الثورة العرابية والاحتلال الانجليزي، الطبعة الثالثة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٦ م ، ص ١٨٦ .

(٣٠) لطيفة محمد سالم : القوى الإجتماعية فى الثورة العرابية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨١ م ، ص ص ٢٧٢ –٢٧٣ ؛ الوطن : ٨ أكتوبر ١٨٨١ م ، ص ١ ؛ The Standard : 3 October 1881 ,P.2.

(٣١) كرومر :المرجع السابق ، ص ص ٧٥–٧٦.

(٣٢) نفسه : ص ص ٧٦–٧٧.

(٣٣) عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ، ص ١٨٦.

(٣٤) عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، أربعة أجزاء ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ٢٠٠٥ ، الجزء الرابع ، ص ص ٣٥٧–٣٥٨ .

(٣٥) الوطن : ٨ أكتوبر ١٨٨١ م ، ص ٢ . , The Pall Gazette :14 October 1881 London , P,3;

(٣٦) كرومر : المرجع السابق ، ص ص ٧٧–٧٨ .

(٣٧) أسس ميخائيل عبد السيد جريدة الوطن فى القاهرة عام ١٨٧٧م . بدأت أسبوعية ثم استمرت يومية وطُبعت فى المطبعة التى اشتراها الأنبا كيرلس الرابع بطريرك الأقباط من أوروبا . وللمزيد : فيليب دى طرازى : تاريخ الصحافة العربية ، أربعة أجزاء ، المطبعة الأدبية ، بيروت ، ١٩١٤ ، الجزء الرابع ، ص ص ١٦٢–١٦٣.

(٣٨) الوطن : السبت ١٥ أكتوبر ١٨٨١ م ، ص ٢ .

(٣٩) فؤاد كرم : المصدر السابق ، ص ص ١٠٠–١٠١.

(٤٠) الوطن : السبت ١٥ أكتوبر ١٨٨١، ص ٢ .

(٤١) نفسه .

(٤٢) أسس عبدالله النديم مجلة " التنكيت والتبكيت " الأسبوعية بالإسكندرية فى ٦ يونية ١٨٨١ م ، وتوقفت فى ٢٣ أكتوبر ١٨٨١م . وتُعد هذه المجلة من أبرز قنوات التأثير على الرأى العام فى مصر إبان الثورة العرابية . وكانت تصدر فى ثمانى صفحات ، صغيرة القطع . واتسمت سياستها التحريرية بانتقاد أعمال الحكومة وتحريض الوطنيين على مقاومة الأجانب فى وادى النيل . وللمزيد:

فيليب دى طراز : المرجع السابق ، الجزء الثالث ، ص ص ٩٢-٩٣.

(٤٣) التنكيت والتبكيت : عدد ١٧ ، الأحد ٩ أكتوبر ١٨٨١ م ، الإسكندرية ، ص ص ٢٦٧-٢٨٥.

(٤٤) نفسه : عدد ١٨ ، الأحد ١٦ أكتوبر ١٨٨١ م ، ص ٢٩١ .

(٤٥) التنكيت والتبكيت : عدد ١٨ ،ص ٢٩١ .

(٤٦) نفسه .

(٤٧) نفسه : ص ٢٩٢.

(٤٨) نفسه .

(٤٩) نفسه :ص ٢٩٣ .

(٥٠) نفسه

(٥١) برقية من على نظامى باشا إلى الباب العالى ، منشورة فى : الوقائع المصرية : الأربعاء ١٢ أكتوبر ١٨٨١ م ، ص ١٢ .

(٥٢) الوطن : السبت ٢٢ أكتوبر ١٨٨١ م ، ص ١ .

(٥٣) التنكيت والتبكيت : عدد ١٨ ، ١٦ أكتوبر ١٨٨١ م ، ص ٢٩٣ ؛ عبد الرحمن الرافعى : المرجع السابق ، ص ص ١٨٧-١٨٨ ؛ عبد العزيز الشناوى : المرجع السابق ، ص ٣٥٨ .

(٥٤) أحمد عبد الرحيم مصطفى : مصر والمسألة المصرية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥ م ، ص ١٥٨ .

(٥٥) نفسه : ص ص ١٥٨-١٥٩.

(٥٦) لمزيد من التفاصيل حول علاقة السلطان عبد الحميد الثانى مع مدحت باشا ، انظر : (مذكرات السلطان عبد الحميد ، ترجمة وتقديم وتحقيق وتعليق : محمد حرب عبد الحميد ، دار الأنصار ، القاهرة ، ١٨٧٨ م ، ص ص ١٥-١٦ ، ٢٠-٣٤ ، ٤٠-٥١ ، ٦٣ ، ٨١- ١٨٤، ١٠٥ ، ١٣٣ - ١٤٤.

(57)Correspondence Respectin The Affairs of Egypt (Accounts and Papers) LXXXII,No.311,from the Earl of Dufferin to The Earl of Granville , October 4,1881.

(58) Ibid

(59) F.O : 78/ 3439 ,No.305,From Lyons to The Earl of Granville ,October 4,1881.

(60) Ibid : 78/ 3439 , No.330,From Lyons to The Earl of Granville ,October 8,1881.

كرومر : المرجع السابق ، ص ص ٧٩ ـ ٨٠ . ([61])

([62])F.O : 78/ 3418 ,No.197,from Earl of Dufferin to The Earl of Granville ,October 12 ,1881.

([63]) F.O : 141/ 142 ,No.376 ,from Malet to The Earl of Granville ,October 12 ,1881.

([64]) F.O : 78/ 3492 , No.72 ,from Frasher to The Earl of Granville ,October 14 ,1881

([65]) F.O : 141/ 291 ,No.402 ,from The Earl of Granville to Amthill ,October 18 ,1881

([66]) F.O : 141/ 296 ,No.178 ,from The Earl of Granville to thornton ,October 19 ,1881

([67]) The Morning Post :19 October 1881,London ,P.1.

([68])The Times :6 October 1881 ,P.1; 7 October 1881 ,P.1 ; 8 October 1881, P.2.

([69])The Spectator:7 October 1881, London ,P.2;The Morning Post : 8 October 1881,London , P.1.

([70]) La Republique Francais : 6 October 1881 , Paris ,P.1 ; 8 October 1881,p.1 ; La Liberte:2 October 1881 ,Paris ,p.1 ; 8 October 1881 ,P.1 .

([71]) Le Journal Des Débats : 8 October 1881, Paris ,p.2

([72]) The Times : 9 October 1881,p.3.

([73]) The Standard : 9 October 1881, London ,p.3.

([74]) The Morning Post : 9 October 1881, London ,p.3.

([75])The Standard : 21 October 1881,p.1.

([76]) Ibid : 7 October 1881 , p p 1-2 .

([٧٧]) لمزيد من التفاصيل حول محاولات تأسيس كيان مصرى عربى مستقل عن الدولة العثمانية ، راجع :

عبدالله الجنانينى : القائد إبراهيم باشا والمشروع النهضوى المصرى ١٨٠٧-١٨٤٨ م ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠١٢ م ، ص ص ٣٠٩-٣٨٧ ؛ آرثر جولد شميت : المرجع السابق ، ص ص ٤٣-٤٥ ، ٣٤٨-٣٤٩ .

([78])The Pall Mall Gazette :14 October 1881 , London , P.2 .

([79])The Times : 28 October 1881,p.1.

(٨٠) أحمد حسين : موسوعة تاريخ مصر ، دار الشعب ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ١٠٧٣ ؛ أحمد شفيق باشا : مذكراتى فى نصف قرن ، أربعة أجزاء ، ذاكرة الكتابة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠١٢ م ، الجزء الأول ، ص ١٢٣ .

(81)F.O : 141/ 144 ,No.296,From Malet To The Earl of Granville ,October 2 ,1881.

(82)F.O : 78/ 3439 ,No.302,From Lyons To The Earl of Granville ,October 4 ,1881.

(83)F.O : 141/ 291 ,No.341,From The Earl of Granville to The Earl of Dufferin ,October 4,1881; No.386,from the Earl of Granville to Lyons, October 1881.

(84)F.O : 78/ 3439 ,No.321,From Lyons To The Earl of Granville ,October 4 ,1881.

(85)F.O : 141/ 142 ,No.382,From Malet To The Earl of Granville ,October 10 ,1881.

(86) F.O : 141/ 145 ,No.267,From The Earl of Granville to Lyons, October 6,1881.

(87) F.O : 141/ 291 ,No.391,From The Earl of Granville to The Earl of Dufferin ,October 16,1881

141/ 145, No. 463, from The Earl of Dufferin to The Earl of Granville , October 18 ,1881. ;

(88) F.O : 141/ 144 , No.381,From Malet To The Earl of Granville , October 17 ,1881.

(٨٩) عمر الإسكندرى وسليم حسن : تاريخ مصر من الفتح العثمانى إلى قبيل الوقت الحاضر ، القاهرة ، ٢٠١٢ م ، ص ص ٢٧٦-٢٧٨ ؛ عبد العظيم رمضا ن : الجيش المصرى فى السياسة ١٨٨٢ – ١٩٣٦م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٧ م ، ص ص ١٦-١٧ ؛ أحمد حسين : المرجع السابق ، ص ص ١٠٧٣- ١٠٧٤ .

(٩٠) أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

(91)The Times : 13 October 1881 , P.3 ; 14 October 1881 ,P.1 ; 21 October 1881, p. 1

(٩٢) الوطن : ٨ أكتوبر ١٨٨١ م ، ص ٢ ؛ أحمد شفيق : المرجع السابق ، ص ص ١٢٤-١٢٥ ؛ عبد العزيز الشناوى : المرجع السابق ، ص ص ٣٥٨ -٣٥٩ .

قائمة المصادر والمراجع

أولا: وثائق غير منشورة باللغة العربية

١- دار الوثائق القومية بالقاهرة : محافظ الأبحاث ، محفظة رقم ١١٦ ، ملف رقم ٢.

ثانياً : الوثائق غير منشورة باللغة الإنجليزية

The Public Record Office Archives : Foreign Office (F.O) No, 207, 78/3457 .

F . O : 78/3434 , No 202, September 16 , 1881 .
: 141 / 291 , No .301 , September 17 , 1881
: 78/ 3418 , No .117, September 20 , 1881 .
: 141/142 , No . 178, September 21, 1881.
:141/142 , No 179 , September 21 , 1881
:78/3426 , No .311 , September 28 , 1881.
:141 / 291 , No 332, September 30 , 1881
:141 /293 , No . 223, September 30,1881
No.332, September 30 1881. ,
:141 /293
144 , No.296, 1 October 1881. / : 141
: 141/ 144 ,No.296,October 2 ,1881.
291 , No.347, 4 October 1881. /: 141
: 78/ 3439 ,No.305, October 4,1881.
:78/ 3439 ,No.302,October 4 ,1881.
: 141/ 291 ,No.341,October 4,1881.
No.386,October 1881. :141/ 291
:78/ 3439 ,No.321, ,October 4 ,1881.
:141/ 145 ,No.267, October 6,1881 .
: 78/ 3439 , No.330, October 8,1881.
:141/ 142 ,No.382,October 10 ,1881.
:78/ 3418 ,No.197 ,October 12 ,1881.
:141/ 142 ,No.376 , ,October 12 ,1881.

:78/ 3492 , No.72 ,October 14 ,1881.
:141/ 291 ,No.391,October 16,1881.
:141/ 144 , No.381, October 17 ,1881.
:141/ 291 ,No.402 ,October 18 ,1881.
:141/ 145, No. 463, October 18 ,1881.
:141/ 296 ,No.178 ,October 19 ,1881.

ثالثاً : وثائق منشورة باللغة العربية

١- فؤاد كرم : النظارات والوزارات المصرية ، الجزء الأول (٢٨ أغسطس ١٨٧٨- ١٨ يونية ١٩٥٣) ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ، ١٩٦٩.

رابعاً : وثائق منشورة الأجنبية

Correspondence Respectin The Affairs of Egypt (Accounts and Papers) LXXXII,No.311.

خامساً : مذكرات وذكريات:

١- أحمد شفيق باشا : مذكراتى فى نصف قرن ، خمسة أجزاء ، ذاكرة الكتابة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ٢٠١٢ ، الجزء الأول.
٢- مذكرات السلطان عبد الحميد ، ترجمة وتقديم وتحقيق وتعليق : محمد حرب عبد الحميد ، دار الأنصار ، القاهرة ، ١٨٧٨ م.

سادساً : المراجع العربية

١- أحمد حسين : موسوعة تاريخ مصر ، دار الشعب ، القاهرة ، د.ت .
٢- أحمد عبد الرحيم مصطفى : مصر والمسألة المصرية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .
٣- بول دى بينير : ألبوم أبونظارة يعقوب صنوع ، المركز القومى للمسرح والموسيقى والفنون الشعبية ، رقم ١٠ ، القاهرة ، ٢٠٠٩م .

٤- طلعت إسماعيل رمضان :محمد شريف باشا ودوره فى السياسة المصرية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣ م.

٥- عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية والإحتلال الإنجليزى ، الطبعة الثالثة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٦ م.

٦- عبد العزيز الشناوى : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها ، أربعة أجزاء ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ٢٠٠٥ م ، الجزء الرابع .

٧- عبد العظيم رمضا ن : الجيش المصرى فى السياسة ١٨٨٢ – ١٩٣٦م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ر١٩٧٧م .

٨- عبدالله الجنانينى : القائد إبراهيم باشا والمشروع النهضوى المصرى ١٨٠٧-١٨٤٨م ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠١٢ م.

٩- عبدالمنعم إبراهيم الدسوقى الجميعى : الثورة العرابية ---- بحوث ودراسات وثائقية، دار الكتاب الجامعى ، القاهرة ١٩٨٢م .

١٠ عمر الإسكندرى وسليم حسن : تاريخ مصر من الفتح العثمانى إلى قبيل الوقت الحاضر ، القاهرة ، ٢٠١٢م .

١١ – فيليب دى طرازى : تاريخ الصحافة العربية ، أربعة أجزاء ، المطبعة الأدبية ، بيروت ، ١٩١٤ م ، الجزء الرابع.

١٢ – لطيفة محمد سالم : القوى الإجتماعية فى الثورة العرابية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨١ م .

١٣ – محمد أبو طائلة : مركز مصر الدولى من الفتح العثمانى إلى الوقت الحاضر، مطبعة جريدة الصباح بمصر ، القاهرة ، ١٩٢٤ م .

١٤ – محمود نجيب أبوالليل : الصحافة الفرنسية فى مصر منذ نشأتها حتى نهاية الثورة العرابية ، القاهرة ، ١٩٥٣م .

سابعاً : المراجع المعربة

١- آرثر جولد شميت : قاموس تراجم مصر الحديثة ، ترجمة : عبدالوهاب بكر ، المجلس الأعلى للثقافة ، رقم ٥٢١ ، القاهرة ، ٢٠٠٣ م .

٢- لورد كرومر : الثورة العرابية ، ترجمة : عبدالعزيز عرابى ، سلسلة الألف كتاب الثانى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٧م .

٣- هـ . أ. ل.فشر : تاريخ أوروبا فى العصر الحديث ١٧٨٩- ١٩٥٠ ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦ م .

ثامناً : المراجع الأجنبية

1-Blunt Wifrid Scawan : Secret History of the English occupation of Egypt , London, 1907.

تاسعاً : الدوريات العربية

- التنكيت والتبكيت : عدد ١٧ ، الأحد ٩ أكتوبر ١٨٨١ م ، الإسكندرية

:عدد ١٨ ، الأحد ١٦ أكتوبر ١٨٨١م.

- الوطـن : ٨ أكتوبر ١٨٨١م، القاهرة.

: ١٥ أكتوبر ١٨٨١ م .

: السبت ٢٢ أكتوبر ١٨٨١ م .

- الوقائع المصرية : الأربعاء ١٢ أكتوبر ١٨٨١م .

عاشراً : الدوريات الإنجليزية

1- The Pall Gazette :14 October 1881 , London .
2- The Daily News : 7 October 1881 , London.
3- The Morning Post : 8 October 1881, London.
: 9 October 1881, London.
: 19 October 1881,London
8-The Spectator : 7 October 1881, London.

9- The Standard : 3 October 1881.
: 7 October 1881.
: 9 October 1881, London .
:21 October 1881 .
10-The Times : 1 October 1881.
: 6 October 1881, London
7 October 1881 :
: 8 October 1881.
: 9 October 1881.
: 13 October 1881 .
: 14 October 1881 .
: 20 October 1881.
: 21 October 1881.
:28 October 1881.

الحادى عشر : الدوريات الفرنسية .

1- La Liberte : September 17 , 1881
: 2 October 188 .
: 8 October 1881
2- La Republique Francais : 6 October 1881
3- L' Egypt : September 14 , Le Caire .
4- Le Journal Des Débats : 8 October 1881, Paris

The Ottoman delegation in Egypt

7- 19 October 1881

Abstract:

The study explores the circumstances during which the Ottoman Empire sent an official delegation to Egypt following the Egyptian army's demonstration in Abdeen on September 9, 1881. The army's demonstration sought to liberate Egypt from European surveillance under the slogan:"Egypt for the Egyptians." The research investigates the Ottoman Sultan's implicit and explicit motives for sending the delegation, which caused doubts and suspicions amongst the Khedive, the Egyptian government, and the English and French circles. Consequently, the Ottoman intervention of sending a military delegation as well as military forces was canceled. The Othman ended up sending a civilian Ottoman delegation, albeit with a military background and close to Sultan Abdul Hamid II personally. The study focuses on the period of the Ottoman delegation's presence and its meetings while considering the position of the Egyptian ruler, the Egyptian government, and European powers, especially Britain and France, as well as the public opinion in Egypt, the Ottoman Empire, and Europe, through reading British documents and contemporary newspapers and magazines in Arabic, English, and French. The study has concluded that the Egyptian, British, and French powers had imposed strict control on the movements of the Ottoman delegation so that it would not be able to obtain information that would affect the interests of these parties. Thus, Britain succeeded in eliminating the Ottoman military intervention and placed France in a clashing course with Istanbul and Cairo. Britain finally seized the opportunity to intervene militarily in Egypt in 1882 AD, less than a year after the Ottoman delegation departed Egypt.

Keywords : The demonstration of Abdeen,The Othman Inquest Delegation, Colonial powers' position